100 قصة من حياة الصالحين والصالحات

د/ مصطفى مراد

دار الروضة
للنشر والتوزيع

دار الروضة

للنشر والتوزيع

٢ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
سوق الكتاب الجديد - الأزبكية

ص.ب: ٢٢٢٧ رمز بريدي: ١١٥١١

تليفون: ٥٠٦٦٨٨٤ - ٥٩١٣٤٢٤ - فاكس: ٥٩٢٧٣٦٤

موبايل: ٠١٢٣٦٠٨٩٩٥

الطبعة الأولى : ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

DAR El-RAWdAH.
2DARb El-ATRRAK. El-AzHAR

رقم الإيداع ٨٣٠٨ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولي I.S.B.N.

977 - 5481 - 55 - 4

المقدمة

الحمد لله له الحمد على النعم الظاهرة ، وله الحمد على الآلاء الباهرة ، وله الحمد فى الأولى وفى الآخرة ، لا أحصى ثناءً عليك يا الله ، أنت كما أثنيت على نفسك ،جل ثناؤك وعظم جاهك ، ولا إله غيرك ، يا من لا يصفك الواصفون ولا يحيط بك العارفون ، ولا تحويك الظنون .

أشهد أن لا إله إلا أنت أنزلت سورة النساء ترسى قواعد الأسرة الصالحة ، وأشهد أن محمدًا عبدك ورسولك . صان المرأة ورفع قدرها ، وأنزلها منزلتها ، فصلاة وسلامًا عليك يا رسول الله . . .

أما بعد ، فهذا كتاب من كتبى المهمة أهديه إلى أختى المسلمة الطاهرة العفيفة التى لم ترض إلا بكتاب الله وسنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ منهاجًا .

إليك أيتها الحصان الرزاز أقدم لك هذا المصنف .

إليك يا بنت الإسلام أقدم لك هذه الرسالة : إنها (المسلمة المثالية) بعد أن قدمت لك كتاب «المرأة المسلمة» .

وهذا الكتيب الذي بين يديك اليوم إنما هو مجموعة من المواقف الطيبة ، واستلهام لأهم الدروس والعبر لتجعليه قدوة لك فى الخير ، وإبعاداً لك عن الشر . وأفكرك بكتبى الأخرى ومنها :

١ ـ قصص الصالحين . ٢ـ قرآننا . ٣ـ إبليس .

٤ ـ المرأة المسلمة . ٥ ـ قصص النبى الصحيح .

٦ ـ مفاتيح الجنة والنار . ٧ ـ النواهى النبوية .

٨ ـ أمثال الرسول ﷺ . ٩ ـ قصص الشياطين .

١٠ ـ الإسلام المفترى عليه . ١١ ـ الرسل فى الأديان الثلاثة .

١٢ ـ بستان الخطباء .

١٣ ـ بستان الواعظين (المختصر الصحيح له) .

١٤ ـ أشعار الخطباء .   ١٥ ـ الأوائل .

١٦ ـ قصص الأنبياء .

١٧ ـ الأسئلة النبوية (أنت تسأل والرسول ﷺ يجيب) .

١٨ ـ السهل المختصر فى النحو والإملاء ـ وغيرها .

وإنى سائل كل من طالع هذه المصنفات أو أحدها أن يدعو لى ولوالدى ولزوجى وللمسلمين . وجزاكم الله خيراً .

المؤلف

مصطفى مراد

الفصل الأول

قصة حواء

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا(١) حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا(٢) الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ٣٤ ـ ٣٨) .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ(٣) (١٣) قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا(٤) لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ

---

(١) رغداً : طيباً هنيئاً .

(٢) فأزلهما : فنحاهما .

(٣) الذليلين الحقيرين

(٤) مدحوراً : مذموما مطروداً مقيتاً .

فتكونا من الظالمين (١٩) فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين (٢٠) وقاسمهما[1] إني لكما لمن الناصحين (٢١) فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين (٢٢) قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (٢٣) قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ (الأعراف : ١١ ـ ٢٤)

﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا (١١٥) وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى (١١٦) فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى (١١٧) إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى (١١٨) وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى[2] (١١٩) فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (١٢٠) فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى (١٢١) ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (١٢٢) قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ (طه : ١١٥ ـ ١٢٣)

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا ﴾ (النساء : ١)

﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ .

(الأعراف : ١٨٩)

---

(١) حلف لهما بالله تعالى .

(٢) لا تعطش فيها ولا يصيبك حر الضحى .

هذه هى قصة البشرية ، قصة الوجود الكبرى ، خلق الله الجن قبل آدم ـ عليه السلام ـ وكانت الجن تفسد فى الأرض وتسفك الدماء ، وكانت الملائكة تقاتل الجن ، فأخذت الملك إبليس أسيراً معهم إلى السماء ، وكان إبليس يعبد الله مع الملائكة ، وكان اسمه وقتها تحزرائيل ، وظل يعبد الله حتى صار أفضل من الملائكة فى العبادة ، وعبد الله ثمانين ألف سنة ، وكان يُلقَّب بـ « طاووس الملائكة » ، إلى أن خلق الله آدم ـ عليه السلام ـ وكان إبليس يمر على آدم وهو خلق لم يتمالك ولم يكمل وقال له :

« أما لئن سُلطتُ عليك لأهلكنك ، ولئن سُلطتَّ علىّ لأعصينك» ، فلما أن نفخ الله فى آدم من روحه وأمر الملائكة بالسجود دخل إبليس منه حسد عظيم ولم يسجد له[1] قال :«أنا خيرٌ منه خلقتنى من نار وخلقته من طين . أأسجد لمن خلقت طيناً» فطرد الله إبليس من السماء ،ونزل إلى الأرض ، وهنا بقى آدم فى الجنة يسير فيها وحده . فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألها :

من أنت ؟ قالت : إمرأة قال : ولِمَ خلقت ؟ قالت : لتسكن إلىَّ » . قالت له الملائكة، ينظرون ما بلغ من علمه :

«ما اسمها يا آدم ؟ قال :

حواء، قالوا : ولِمَ حواء ؟ قال : إنها خُلقت من شئ حى »

وتسير الأحداث، ويأمر الله آدم وحواء بسكنى الجنة والأكل منها» من كل أشجارها إلا من شجرة واحدة ، قيل: الكرم ، وقيل: السنبلة، وقيل: الزيتونة ، وقيل: شجرة من أكل منها أحدث. المهم أنها شجرة ـ نهاهما الله أن يأكلا منها ومن مثيلاتها التى من جنسها ـ إن كان لها أخرى ـ وهنا كان إبليس يتردد عند باب الجنة وينادى على آدم وحواء ويكلمهما فى الأكل من الشجرة وكان الكافر يحلف لهما بالله كاذباً أنه صادق فيما يقول ويعدهما أنهما إن أكلا من الشجرة سيكونا ملكين مثل الملائكة فى القوة ، يشابهون الملائكة فى القوة ، أو يكونا من الخالدين الذين لا يموتون . ولم يصدقاه فيما قال، وأنى لهما أن يصدقاه فيما لا يجوز تصديقه أو ليس كل حى فان ولا يبقى ألا الحى الذى لا يموت فالبقاء لله وحده .

(١) انظر كتابى قصص الشياطين ، دار الروضة .

وظل إبليس يصد عن سبيل الله، مستعملاً أساليبه المكرة حتى نسى آدم ما نهى الله عنه ، فأكلا من الشجرة ، لكنهما تابا وعادا إلى الله ،فقبل الله منهما ، وهبطوا جميعاً إلى الأرض .

الفوائد من هذه القصة:

حقاً إن الفوائد لكثيرة وأذكر بعضها إجمالاً(١) .

١ ـ تكريم الله لآدم ـ عليه السلام .

٢ ـ آدم نبى .

٣ ـ سجود الملائكة لآدم سجود تحية وتكريم وليس سجود عبادة .

٤ ـ كفر إبليس كفر استكبار .

٥ ـ إبليس أول الكافرين ورأس الشياطين ورئيس أهل النار .

٦ ـ شؤم المعصية، فقد طردت آدم وحواء من الجنة ، وإبليس بعد أن كان خير العباد وقتها، صار شر العباد .

٧ ـ مخالفة الأمر أعظم من فعل النهى، فقد أمر الله إبليس فأبى ، أما آدم فنهاه الله، ففعل المنهى عنه وكان غضب الله على إبليس أكبر وأعظم، لأن فعل ما يحبه من رحمته ، وترك ما لا يحبه من غضبه ، وفى المأمورات ما يوجب فواته الهلاك أو الشقاء الدائم ، وليس فى المنهيات ما يقتضى ذلك(٢) .

٨ ـ الأنبياء أفضل من الملائكة .

٩ ـ ظلم آدم وحواء ، لمجاوزتهما الحد ولسماعهما لإبليس ، ولم يكن هو الظلم الذى من الكبائر أو الظلم الأكبر (الشرك) .

١٠ ـ أول من حلف بالله كاذباً (اليمين الغموس) إبليس .

١١ ـ ما كان آدم وحواء يظنان أن أحداً يحلف بالله كاذباً على غرار قول الصالحين

---

(١) ولى كتاب ، أسأل الله تيسير طبعه ، اسمه (إبليس) .

(٢) فى كتاب «الفوائد» لابن القيم فصل كامل عن هذا الأمر ١٦١ ـ ١٧٣ .

« من خدعنا بالله انخدعنا له » .

١٢ ـ طرق إبليس كثيرة ومداخله كبيرة .

١٣ ـ خلق الله حواء ليسكن آدم إليها .

١٤ ـ الأصل فى المرأة السكن فى البيت ، فلا تخرج إلا لحاجة .

١٥ ـ طلب إبليس أن يُنْظَر إلى يوم يبعثون لا ليتوب ، ولكن لينتقم من آدم وذريته فيدخلهم النار .

١٦ ـ الظاهر أن جنة آدم كانت في السماء وليست هي جنة الآخرة ، لأن أحداً لا يطرد من جنة الآخرة ، كما أنه ليس فى جنة الآخرة تكليف ، ومن دخل الجنة فى الآخرة يظل خالداً فيها أبداً .

١٧ ـ يأتى إبليس إلى الإنسان من كل الطرق ، ولا يترك طريقاً إلا جاء من قبله، أترين أنه يقطع تسعة وتسعين باباً من الخير ليبلغ باباً واحداً من الشر، «من بين أيديهم ومن خلفهم ومن أيمانهم وعن شمائلهم »؟ وفيه: الشهوة والغضب والغفلة والتخييل .

١٨ ـ النساء حبائل الشيطان .

١٩ ـ أول الجرائم فى العالم .

الحسد : فبالحسد لعن إبليس وصار شيطاناً مريداً .

وثانى جرائم العالم الحرص : فبالحرص أخرج آدم من الجنة وسكن الأرض .

٢٠ ـ ما سجدت الملائكة لآدم إلا بعد نفخ الروح لأن الطين لا قيمة له .

٢١ ـ كل الملائكة سجدت لآدم على الراجح لقوله ﴿ **فسجد الملائكة كلهم أجمعون** ﴾ .

٢٢ ـ التوبةتَجبّ ماقبلها « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » .

٢٣ ـ إبليس أبو الجن وليس ملكاً بصريح القرآن .

﴿ **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون** ﴾ .

٢٤ ـ طلب إبليس الإنظار إلى يوم يبعثون لا ليتوب ولكن ليفسد بنى آدم .

امرأة نوح ـ عليه السلام ـ

أشار الله ـ تعالى ـ إلى قصة نوح ـ عليه السلام فى سور كثيرة مثل سورة الأعراف ويونس وهود والأنبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت والصافات ، والقمر ، بل وسمى الله تعالى سورة كاملة فى القرآن الكريم باسم هذا النبى الرسول هى سورة نوح .

ولم تُشر الآيات المختلفة إلى امرأة نوح بصراحة إلا فى آية واحدة فى سورة التحريم قال تعالى :

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾(١)

لما بعث الله نوحاً ـ عليه السلام ـ لم يؤمن به إلا القليل، كانت زوجته من الكافرات، والظاهر أنها غرقت مع مَن غرق، وهلكت مَع من هلك .

وزوجته هذه هى أم أولاده الأربعة : حام وسام ويافث ويام وهو كنعان والذي غرق .

الفوائد :

١ ـ الإيمان ليس له علاقة بالقرابة من نبى أو ولى .

٢ ـ يخلق الله الطالح من الصالح والصالح من الطالح، امرأة نوح كافرة ، ووالد إبراهيم كافر .

٣ ـ خيانة زوجة نوح فى الكفر قال إبن عباس : ما بغت زوجة نبى .

---

(١) التحريم : ١٠ .

سارة زوجة إبراهيم ـ عليه السلام

ذكر الله ـ تعالى ـ قصة من قصصها فى سورتين، وقد ذكر النبى ـ ﷺ ـ لها قصة جميلة ستأتى فى الفصل الثانى إن شاء الله تعالى :

ـ ذكر القرآن الكريم قصة سارة فى سورتين، هما سورة هود والذاريات، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ[1] (٦٩) فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ ، وقال .

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ .

كما أشار القرآن الكريم مرة ثالثة لهذه القصة، لكن بدون ذكر سارة فيها ـ قال تعالى :

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن

---

(١) مشوى .

مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ .

ـ أمر الله الملائكة أن تذهب لتخسف قرى قوم لوط ، حملت الملائكة ما معها بشارة إلى إبراهيم وسارة عليهما السلام، قبل أن يذهبوا إلى قوم لوط . الملائكة الذى سيقومون بالخسف والبشارة هم رؤساء الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل، وصل الملائكة العظام إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ ألقوا عليه تحية الإسلام « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته »، وردّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال: سلام، أى سلام عليكم «حسبهم الخليل أضيافاً فعاملهم معاملة الضيف، شوى لهم عجلاً سميناً مشوياً من خيار بقره، فلما قرَّبه إليهم وعرض عليهم لم ير لهم همّة إلى الأكل بالكلية وذلك لأن الملائكة ليس فيهم قوة الحاجة الى طعام « فنكرهم ـ إبراهيم أو أوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط » أى لنُدمر عليهم فاستبشرت عند ذلك سارة غضباً لله عليهم وكانت قائمة على الأضياف كما جرت به عادة الناس من العرب وغيرهم فلما ضحكت استبشاراً بهذه البشارة وتثبيتاً لها وفرحاً بها « قال أبشرتمونى على أن مسنى الكِبر فبم تُبشرون . قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين »

وهنا تظهر قدرة الله الباهرة، حيث حملت سارة مع أنها عاقر وزوجها شيخ كبير .

الفوائد من هذه القصة:

١ ـ تحية الإسلام منذ آدم هى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٢ ـ الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتزوجون ولا يتناسلون ولا يتغوطون ولا يبولون .

٣ ـ الله يصطفى من الملائكة رُسلاً ومن الناس .

٤ ـ أنه وصف ضيفه بأنهم مُكرمون وهذا على أحد القولين أنه إكرام لهم أو أنهم المكرمون عند الله ، ولا تنافى بين القولين فالآية تدل على المعنيين .

٥ ـ قوله تعالى : ﴿ **إذ دخلوا عليه** ﴾ فلم يذكر إستئذانهم وفى هذا دليل على أنه ـ عليه السلام ـ كان قد عُرِف بإكرام الضيفان، واعتياد قِراهم فبقى منزله مضيفة ، مطروقاً لمن

ورده لا يحتاج إلى الاستئذان ، بل استئذان الداخل دخوله ، وهذا غاية ما يكون من الكرم .

٦ ـ أنه راغ إلى أهله ليجيئهم بنزلهم، والروغان هو الذهاب فى اختفاء، بحيث لا يكاد يشعر به الضيف ،وهذا من كرم رب المنزل المضيف، أن يذهب فى اختفاء بحيث لايشعر به الضيف، فيشق عليه ويستحى، فلا يشعر به إلا وقد جاءه بالطعام ، بخلاف من يسمع ضيفه، ويقول له أو لمن حضر : مكانكم حتى آتيكم بالطعام ونحو ذلك، مما يوجب حياء الضيف واحتشامه .

٧ ـ أنه ذهب إلى أهله، فجاء بالضيافة ، فدلَّ على أن ذلك كان معداً عندهم مهيئاً للضيفان ولم يحتج أن يذهب إلى غيرهم من جيرانه أو غيرهم فيشتريه أو يستقرضه.

٨ ـ قوله : ﴿ **فجاء بعجل سمين** ﴾ دلَّ على خدمته الضيف بنفسه ، ولم يقل فأمر لهم ، بل هو الذى ذهب وجاء به بنفسه ، ولم يبعثه مع خادمه وهذا أبلغ فى إكرام الضيف .

٩ ـ أنه جاء بعجلٍ كامل ولم يأت ببعض منه وهذا من تمام كرمه ـ عليه السلام ـ .

١٠ ـ أنه سمين لا هزيل ، ومعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم ومثله يتخذ للاقتناء والتربية فآثر به ضيفانه .

١١ ـ أنه قربه إليهم بنفسه ولم يأمر خادمه بذلك .

١٢ ـ أنه قربه إليهم ولم يقربهم إليه وهذا أبلغ فى الإكرام، أن يجلس الضيف، ثم يُقرب الطعام إليه ويحمله إلى حضرته ، ولا يضع الطعام فى ناحية ثم يأمر ضيفه أن يقترب إليه .

١٣ ـ أنه قال : ألا تأكلون؟ وهذا عرض وتلطف فى القول وهو أحسن من قوله: كلوا أو مدوا أيديكم ونحوها ، وهذا مما يعلم الناس بعقولهم حسنه ولطفه ، ولهذا يقولون : بسم الله ، أو ألا تتصدق ، أولا تجبر نحو ذلك .

١٤ ـ أنه إنما عرض عليهم الأكل لأنه رآهم لا يأكلون ، ولم يكن ضيوفه يحتاجون

معــه إلى الإذن في الأكل ، بل كان إذا قدم إليــهم الطعام أكلوا ، وهؤلاء الضـيوف لما امتنعوا من الأكل قال لهم : ألا تأكلون؟ ولهذا أوجس منهم خيفة أى أحسها وأضمرها فى نفسه ولم يبدها لهم أى لم تظهر على الوجه .

١٥ ـ فإنهم لما امتنعوا من الأكل لطعامه خاف منهم ولم يظهر لهم ، فلما علمت الملائكة منه ذلك قالوا : « لا تخف وبشروه بغلام عليم »(١) .

١٦ ـ الرجاء الدائم والأمل المتجدد .

١٧ ـ عدم اليأس أو القنوط .

١٨ ـ قدرة الله .

١٩ ـ طلاقة القدرة الإلهية وعدم وقوفها عند حد .

٢٠ ـ سرعة إبراهيم فى إكرام الضيف « فما لبث أن جاء بعجل » .

٢١ ـ لا جدال أن للمرأة فضل كبير فيما حدث .

٢٢ ـ الأنبيـاء لا يعرفـون الملائكة عندما يتـشكلون بأشكال أخـرى غير صـورتهم الحقيـقية فإبراهيم قـدم لهم الطعام وموسى فقـأ عين ملك الموت لأنه ظن أنه رجل جاء يعتدى عليه .

٢٣ ـ المرأة التى صكّت وجـهها هى سـارة وولدها هو إسحـاق « الحكيم العليم » صاحب هذا الوصف الكريم .

---

(١) جلاء الأفهام لابن القيم صـ١٦٣ ، ١٦٤ دار الخلفاء المنصورة .

إمرأة لوط ـ عليه السلام ـ

ذكر الله قصة لوط ـ عليه السلام ـ في غير ما سورة من كتابه كما أشار تعالى إلى موقف امرأة لوط من دعوة لوط ـ عليه السلام ـ فقد كان موقفها موقف العناد والضلال وكفرت بالله الكبير المتعال .

يقول تعالى :

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف : ٨٠ ـ ٨٤)

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ (هود : ٧٧ ـ ٨٣)

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ

إلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ
رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ
الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ
﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ
﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشعراء : ١٦٠ ـ ١٧٥)

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن
قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ
قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴾

(النمل : ٥٤ ـ ٥٨)

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ
﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ
انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا
مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ
بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا
سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ
كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (العنكبوت: ٢٨ ـ ٣٥)

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلاَّ عَجُوزًا فِي
الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾
وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (الصافات : ١٣٣ ـ ١٣٨)

امرأة العزيز « زليخا »

ذكر الله قصتها مع يوسف العفيف، في سورة يوسف اللطيف، وهذا كلام الله الشريف :

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا

يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ (٣٥)﴾

هذه المحنة الثانيـة ليوسف ـ عليه السـلام ـ وكانت المحنة الأولى تآمر إخـوته عليه وإلقاؤه فى غيابة الجب .

وصل يوسف إلى مصر وبيع بيع الرقيق ولكن الذى اشتراه توسم فيه الخير ـ والخير يتوسم فى الوجـوه الصباح وبخـاصة حين تصاحبـها السجـايا الملاح ، فإذا هو يوصى امرأته به خيراً وهنا يبدأ أول خيط فى تحقيق الرؤيا .

ولكن محنة أخـرى من نوع آخر كانت تنتظر يوسف حين يبلغ أشـده ، وقد أوتى حُكماً وعلماً يسـتقبل بهما هذه المحنة الجارفـة التى لا يقف لها إلا من رحم الله ، إنها محنة التـعرض للغواية فى جو القـصور ، وفى جو ما يسـمونه « الطبقة الراقـية » وما يعشـاها من إستهتـار وفجور ويخرج يوسف منهـا سليماً مُعـافى فى خلقه وفى دينه ، ولكن بعد أن يخالط المحنة ويصلاها .

ولعل العزيز وإمرأته لم يكن لهما أولاد ـ كما تذكر بعض الروايات ،ومن ثم تطلع الرجل وامرأته أن يتـخذاه ولداً إذا صدقت فـراسته وتحـققت مخايل نجـابته وطيبـته مع وسامته .

وهنا يقف السياق لينبه إلى أن هذا التدبـير من الله وبه وبمثله قدر ليوسف التمكين فى الأرض ـ وها قد بدأت بشائره بتمكين يوسف فى قلب الرجـل وبيته ويشير إلى أنه ماضٍ فى الطريق ليعلمه الله من تأويل الأحاديث ، ويعقب السياق على هذا الابتداء فى تمكين يوسف بما يدل عليه من أن قدرة الله غالبة ، لا تقف فى طريقها قوة ، وأنه مالك أمره ومسيطر عليه فلا يخيب ولا يتوقف ولا يضل .

وهاهو ذا يوسف أراد له إخوته أمراً ، وأراد له الله أمـراً ، ولما كان الله غالباً على أمره ومسـيطراً فقد نفذ أمـره ، إما إخوة يوسف فلا يملكون أمـرهم فأفلت من أيديهم وخرج على ما أرادوا ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

لا يعلمون أن سنة الله ماضية وأنَّ أمره هو الـذى يكون ويمضى السياق ليقرر أنَّ ما شاء الله ليوسف وقال عنه«ولنعلمه من تأويل الأحاديث»،

أرسل الله ـ تعالى ـ لوطاً ـ عليه السلام ـ إلى قومه فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عما ذكر الله عنهم من الفواحش فلم يستجيبوا له ولم يؤمنوا به حتى ولا رجل واحد منهم ولم يتركوا ما نهوا عنه بل استمروا على حالهم ولم يرتدوا عن غيهم وضلالهم وهموا بإخراج رسولهم من بين ظهرانيهم وما كان حاصل جوابهم عن خطابهم ـ إذ كانوا لا يعقلون ـ إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون فجعلوا غاية المدح ذماً يقتضى الإخراج، وما حملهم على مقالتهم هذه إلا العناد واللجاج فطهره الله وأهله إلا إمرأته وأخرجهم منها أحسن إخراج. وكانوا مع ذلك يقطعون الطريق ويخونون الرفيق ويأتون فى ناديهم ـ وهو مجتمعهم ومحل حديثهم وسمرهم ـ المنكر من الأقوال والأفعال على اختلاف أصنافه حتى قيل إنهم كانوا يتضارطون فى مجالسهم ولا يستحيون ممن يجالسهم وربما وقعت منهم الفعلة العظيمة فى المحافل ولا يستنكفون ولا يرعوون (١) لوعظ واعظ ولا لنصيحة من عاقل وكانوا فى ذلك وغيره كالأنعام بل أضل سبيلاً ، ولم يقلعوا عما كانوا عليه فى حاضر أيامهم ولا ندموا على ما سلف من الماضى ولا راموا فى المستقبل تحويلاً فأخذهم الله أخذاً وبيلاً، فطلبوا من نبيهم العذاب، فسأل لوط ربه الوهاب أن ينزل عليهم العذاب والعقاب ، فأرسل الله جبريل وميكائيل وإسرافيل ليحولوا بلادهم إلى خراب وأهلها إلى تراب ، وذهب الملائكة إلي إبراهيم عليه السلام وأخبروه ببشرى إبنه إسحاق ، ثم ذهبوا إلى قوم لوط فلمّا أن وصلوا إلى هناك فى صورة آية فى الجمال، ذهبت إمرأة لوط إلى قومها وأخبرتهم بالخبر فأتى القوم على عجل ليفوزوا بهذه الغنيمة يأتوا الرجال فى أدبارهم وحاولوا جاهدين أن يفعلوا بهم الفاحشة، ولوط ـ عليه السلام ـ ينصحهم فلم يستجيبوا فضربهم جبريل بجناحه حتى طمس أعينهم ، وطلب جبريل وميكائيل وإسرافيل من لوط أن يذهب هو وأهله المؤمنون به واللتان آمنتا به هما إبنتاه الكبرى «ريتا» «والصغرى» «ذعرتا» .

أما امرأته فالظاهر أنها بقيت مع قومها فهلكت وقيل ذهبت مع لوط فلما رأت نزول العذاب على قومها قالت: «وا قوماه!!» وهلكت معهم ، وأنزل الله عليهم العذاب وجعل عاليها سافلها عند شروق الشمس واقتلع جبريل بلادهم من قرارها ،

---

(١) يهتدون.

وكن سبع مدن فيها أربعمائة أو أربعة آلاف نسمة فرفعها جبريل بما فيها من الحيوانات والجمادات والناس ، حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة أصوات ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها ، وكان أول ماسقط منها شرفاتها وأمطر الله عليهم حجارة من سجيل وهو الشديد الصلب القوى ، (منضود) يتبع بعضها بعضاً فى نزولها عليهم من السماء ، (مسومة) أى معلمة، مكتوب على كل حجر اسم صاحب الذى يهبط عليه فيدمغه كما قال تعالى :

﴿ **مسومة عند ربك للمسرفين** ﴾ ، وختاماً ﴿ **وما هى من الظالمين ببعيد** ﴾ .

الفوائد :

١ ـ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء .

٢ ـ يأتى النبى يوم القيامة ومعه الرجل ومعه الرجلان ويأتى النبى وليس معه أحد.

٣ ـ أنتِ مطالبة بالدعوة إلى الله ولستِ مطالبة بالهداية .

٤ ـ ليس استجابة الكثير من الناس للداعية دليل قاطع على إخلاص دعوته .

٥ ـ من تجرأ على معصية الله لا يستحى من أحد .

٦ ـ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض .

٧ ـ أنت لا تملك القلوب ولكن يملكها علام الغيوب .

٨ ـ والله عزيز ذو إنتقام .

٩ ـ إنّ الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .

١٠ ـ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون .

١١ ـ أهل النار أكثر من أهل الجنة .

١٢ ـ وما هى من الظالمين ببعيد فليتب الظالمون إلى الله .

١٣ ـ الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

١٤ ـ قوة الملائكة بل المَلَكَ الواحد أقوى بكثير من البشر .

١٥ ـ لا ينفعك القرابة من نبى أو ولى .

١٦ ـ اقتلوا الفاعل والمفعول به .

١٧ ـ اللواط من الكبائر بل من أكبر الكبائر .

قـد تحقق حين بلغ أشـده ولما بلغ أشده آتاه حُـكماً وعلمـاً . وكذلك يجـزى الله المحسنين فقد أوتى صحة الحكم على الأمـور ، وأوتى علماً بمصائر الأحاديث أو بتأويل الرؤيا ، أو بما هو أعم ، من العلم بالحياة وأحوالها فـاللفظ عام ويشمل الكثير ، وكان ذلك جزاء إحسانه في الإعتقاد وإحسانه فى السلوك وكذلك يجزى الله المحسنين وعندئذ تجيئـه المحنة الثانية فى حيـاته ، وهى أشد وأعمق من المحنة الأولى ، تجيـئه وقد أوتى صحة الحكم وأوتى العـلم ـ رحمة من الله ـ ليواجهـها وينجو منها جـزاء إحسانه الذى سجله الله له فى قرآنه .

والآن نشهد ذلك المشهد العاصف الخطير المثير كما يرسمه التعبير .

لم يذكر سنـها وسنه[1] ومـتوقع كـذلك أن تكون سنهـا أربعين سنة عندمـا يكون يوسف فى الخـامسة والعـشرين أو حـراليهـا وهى السن التى نرجح أن الحادثـة وقعت فيها[2] .

وفى بيئة القصور تظهر المرأة فتنتها أمام كل أحد وقد استمر يوسف فترة طويلة على هذا الأغراء ولم يحدث أن قـال كلمة أو صنع أمراً على الرغم من جمال المرأة وفـتنتها وشبابها وعلى الرغم من شبابه هو وجماله الخارق ، وهذا فيه أبلغ رد على الآخذين من الإسرائيليات الذين قالوا : إنه خلع ملابسه أو . . .

تبدأ القصة :

وراودته التى هو فى بيتها ، هنا كانت المراودة مكشوفة ـ وغلقت الأبواب وقالت: هيت لك .

لكِ أن تنظرى، يقول القرآن : هو فى بيتها فأنظر من الطالب ومن المطلوب، ومن المعلوم في العقول قطعاً ويقيناً أنه إن لم ينفذ أمرهـا فستنتقل إلى الآخرة وسيذوق سوء العذاب[3] .

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب، فى تفسير هذه الآية.

(٢) الصمدر السابق.

(٣) ومن المعلوم أنها وعدته وعوداً عظيمة كأن يكون وزيراً إن نفذ أمرها .

نعم هو فى بيتـها، هى سيدته .هو عبـدها، هو خادمها، والعـبد وما ملكت يداه لسيـده ، غلقت كل الأبواب تغليقاً،لم تتـرك خرم إبرة، لا شبـاك ولا باب، قالت له بلسان التذلل والميوعة، مع نظرة القوة والبطش إن خالف أمرها ، وفى أثناء قولها .

هيت لك . هلم إلىّ أقـبل علىّ ، أقـبلت هى إليه ووضـعت رأسـها فى التـراب أحنت جبهتها العالية لتظفر من يوسف بمطلبها كيف كانت ملابسها ؟

ليسرح الذهن هنا كل مسرح فهى زوجة عزيز مصر .

ففى أى مكان كانت الحادثة ؟ لابد أن تكون نادت عليـه ،وهو فى أجمل حجرات النوم ، وأعدت لهذا الأمر ما يبهجـه ويجذبه إليه، إذ أنها توقن أن يوسف لا يستجيب لها بسهـولة، والدليل : أنه صبر السنوات الطوال ولم يهش لهـا أو يبش ، ولما يحدث أنه لبس ملابس أو رجّل شـعره ترجيلاً يُفهم منه أنه يفـكر فى هذا الأمر فى الحلال أو الحرام ولو كانت تعلم أنه شاب ماجن ما غلقت الأبواب وما أقبلت عليه وما . . .

وصدر الكلام يجـزم أن يوسف ما همّ همّ شهـوة أبداً ، والمرء يظهر من أول لفظة وحركة فى هذا الحال ، فقد يحـدث ممن يقع فى هذا الأمر أن يلين أولاً ثم يمنعه خوفه من الله وهذا هو الغالب أما وأن يمتنع من أول الأمر مستعيذاً ومستعصماً ومستجيراً بالله من أول وهلة فهـذا إنسان وشاب من لون غريب ثم إن الله يجـيب دعوة المضطر « أمّن يجيب المضطر إذا دعاه . . » وهذا الطلب والدعاء من نبى، ودعاء الأنبياء مجاب .

تقول الآية :

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ...﴾

«قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي. إنه لا يُفلح الظالمون».

وهذا الترتيب فى غاية الحسن، فقوله ﴿ **معاذ الله**﴾ إشارة إلى أن حق الله تـعالى يمنع عن هذا العـمل ، وأيضـاً حقـوق الخلق واجبـة الرعـاية ، فلما كـان هذا الرجل (العـزيز) قد أحـسن إلى يوسف وأعطاه حقـه فإنه يُقـبح من يوسف مقـابلة إنعـامه وإحـسانه بالإسـءة ، وأيضاً صـون النفس عن الضـرر واجب ، وهذه اللذة لذة قليلة يتبعها خزى فى اندنيا ، وعذاب شديد فى الآخرة ، واللذة القليلة إذا لزمها ضرر شديد فالعقل يقتضى تركها والاحتراز ، فقوله : ﴿ **إنه لا يفلح الظالمون** ﴾ إشارة إليه .

ثم يأخذ السياق فى عرض آية أخرى ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ...**﴾

قبل أن نأخذ فى تفسيرها نشير إلى براءة من لا يحتاج بيان براءته ـ عليه السلام ـ إلى إثبات.

أولاً : الزنا من منكرات الكبائر ، والخيانة فى معرض الأمانة أيضاً من منكرات الذنوب ، وأيضاً مقابلة الإحسان العظيم بالإساءة الموجبة للفضيحة التامة والعار الشديد أيضاً من منكرات الذنوب ، وأيضاً الصبى إذا تربى فى حجر إنسان وبقى مكفى المؤنة مصون العرض من أول صباه إلى زمان شبابه وكمال قوته فإقدام هذا الصبى على إيصال أقبح أنواع الإساءة إلى ذلك المنعم ، فإن ذلك يكون من أعظم منكرات الأعمال ، إذا ثبت هذا فنقول :

إن هذه المعصية التى نسبوها إلى يوسف ـ عليه السلام ـ كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الأربع ، ومثل هذه المعصية لو نسبت إلى أفسق خلق الله تعالى وأبعدهم عن كل خير لاستنكف منها ، فكيف يجوز إسنادها إلى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة ؟

ثانياً : إنه تعالى قال: فى غير هذه الواقعة « **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء** » وذلك يدل على أن حقيقة السوء والفحشاء مصروفة عنه ، ولا شك أن المعصية التى نسبوها إليه أعظم أنواع المعاصى ، وأفحش أقسام الفحشاء ، فكيف يليق برب العالمين أن يشهد فى عين هذه الواقعة بكونه بريئاً من السوء، مع أنه كان قد أتى ـ حسب ذلك التفسير غير اللائق ـ بأعظم أنواع السوء والفحشاء ؟

وأيضاً فالآية تدل على قولنا من وجه آخر ، وذلك لأننا نقول: هب أن هذه الآية لا تدل على نفى هذه المعصية عنه ، إلا أنه لا شك أنها تفيد المدح العظيم والثناء البالغ . فلا يليق بحكمة الله تعالى ـ أن يحكى عن إنسان إقدامه على معصية عظيمة ، ثم إنه يمدحه ويثنى عليه بأعظم المدائح والأثنية عقيب أن حكى عنه ذلك الذنب العظيم ، فإن مثاله ما إذا حكى السلطان عن بعض عبيده أقبح الذنوب وأفحش الأعمال ثم إنه يذكره بالمدح العظيم والثناء البالغ ، فإن ذلك يستنكر جداً . فكذا ههنا والله أعلم .

ثالثاً : إن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ متى صدرت منهم زلة أو هفوة استعظموا ذلك وأتبعوها بإظهار الندامة والتوبة والتواضع ، ولو كان يوسف ـ عليه السلام ـ أقدم هنا

على هذه الكبيرة المنكرة لكان من المُحال أن لا يتبعهـا بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكي الله تعالى عنه إتيانه بها كما فى سائر المواضيع .

وحيث لم يـوجد شئ من ذلك علمنا أنه مـا صدر عنه فى هذه الواقـعة ذنب ولا معصية .

رابعاً : إنّ كل من كان له تعلق بتلك الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف ـ عليه السلام ـ من المعصيـة واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة : يوسف ـ عـليه السلام ـ وتلك المرأة، وزوجها والنسوة، والشهـود، ورب العالمين ، شهد ببراءته عن الذنب . وإبليس أقرّ ببراءته أيضاً عن المعـصية ، وإذا كان الأمر كذلك ، فحـينئذ لم يبق للمسلم توقف فى هذا الباب .

أما بيان أنّ يوسف ـ عليه السلام ـ ادعى البراءة عن الذنب فهو قوله ـ عليه السلام ـ ﴿ **هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي** ﴾ [يوسف : ٢٦]

وقوله ـ عليه السلام ـ

﴿ **رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾ [يوسف : ٣٣]

وأما بيان أنّ المرأة اعترفت بذلك فلأنها قالت للنسوة

﴿ **إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ** ﴾ [يوسف : ٣٢]

وأما بيان أنّ روح المرأة أقرّ بذلك، فهو قوله تعالى :

﴿ **إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ**﴾ [يوسف : ٢٨ ، ٢٩]

وأما الشهود فقوله تعالى : ﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧)**﴾ [يوسف : ٢٦، ٢٧]

وأما شهادة الله تعالى بذلك فقوله تعالى : ﴿**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [يوسف : ٢٤]

فقد شهد الله تعالى ـ فى هذه الآية على طهارته أربع مرات :

أولها : قوله تعالى ﴿ **لنصرف عنه السوء** ﴾ واللام للتأكيد والمبالغة .

ثانيها : قوله تعالى ـ ﴿ **والفحشاء** ﴾ أى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء .

ثالثها : قوله تعالى ﴿ **إنه من عبادنا** ﴾ مع أنه تعالى قال : ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا** ﴾. [الفرقان : ٦٣]

رابعها : قوله تعالى : ﴿ **المخلصين** ﴾ وفيه قراءتان : تارة باسم الفاعل وأخرى باسم المفعول ، فوروده باسم الفاعل « المُخلَصين » بفتح اللام ـ يدل على أن الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته، وعلى كلا الوجهين فإنه من أدل الألفاظ على كونه منزّها عما أضافوه إليه .

وأما بيان أنَّ إبليس أقرَّ بطهارته ، فلأنه قال :﴿ **فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [ص : ٨٢، ٨٣]

فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المُخلصين ويوسف من المُخلصين لقوله تعالى ﴿ **إنه من عبادنا المخلصين** ﴾ فكان هذا إقراراً من إبليس بأنه ما أغواه وما أضله عن طريق الهدى .

وعند هذا نقول : هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف ـ عليه السلام ـ هذه الفضيحة، إن كانوا من أتباع دين الله تعالى ـ فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته ، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته ، ولعلهم يقولون: كنا فى أول الأمر تلامذة إبليس، إلى أن تخرجنا عليه، فزدنا عليه فى السفاهة كما قال الخوارزمى .

وكنت امرأً من جند إبليس فارتقي بى الدهر حتى صار إبليس من جندى
فلو مات قبلي كنت أحسن بعده طرائق فسق ليس يحسنها بعدي(١)

ونقف الآن مع تفسير الآية :

فأما من قالوا بأنه همَّ وعزم حيث خلع تكته . . .إلخ فيكفى عليهم الردود السابقة ونقول لهم : اتقوا الله .

---

(١) تفسير الفخر الرازي، فى تفسير هذه الآية من سورة يوسف.

وهناك من قال : همَّ دفاعـاً وهمت معصية وهذا قـريب من الصواب وأولى أقوال التفسير هنا : وهو أنه لم يهم بها أصلاً لأن جواب لولا مُقدَّم عليها أى : لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها .

وهذا جائز عند النحـويين خلافاً لمن أنكره كـالزجاج ويكفى فى الرد عليـهم قوله تعالى : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ [القصص : ١٠]

فإن قـيل : لو لم يوجد الهمّ لم يبق لقـوله تعالى: ﴿ لولا أن رأى برهان ربه ﴾ فائدة، فنقول : بل فيـه أعظم الفوائد ، وهو بيان أن ترك الهم بها ما كان لعـدم رغبته فى النساء وعدم قدرته عليهن ، بل لأجل أن دلائل دين الله منعته عن ذلك العمل .

ـ والبرهان : حجة الله تعالى فى تحريم الزنا ، وما على الزانى من العقاب .

وبقية القصة لا تحتاج إلى بيان .

***

قصة ابنتى الشيخ الكبير

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [القصص : ٢٢ ـ ٢٨]

وخلاصة ما جاء فى تفسير تلك الآيات القرآنية الموضوعية أن سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ لما ورد ماء مدين أى بلغها . وهى قبيلة من ولد مدين بن إبراهيم ، وجد أمة من الناس ـ أى جمعاً كثيراً منهم ـ يسقون ماشيتهم ، ووجد من دونهم امرأتين تمنعان غنمهما عن الماء ـ أى البئر ـ خوفاً من السقاة الأقوياء . فسألهما سيدنا موسى ـ ما خطبكما ـ أى ما شأنكما ؟ فقالتا : لا نسقى حتى يصدر الرعاء ـ جمع راع . أى يرجعون عن سقيهم خوف الزحام ـ وأخبرتاه كذلك بأن أباهما شيخ كبير [1] لا يستطيع لضعفه أن يباشر أمر غنمه وأنهما لضعفهما وقلة طاقتهما لا تقدران على مزاحمة الأقوياء وأن عادتهما التأنى حتى يصدر الناس عن الماء ويخلى ، وحينئذ تردان .

فسقى لهما من بئر أخرى كانت مغطاه بحجر رفعه سيدنا موسى ـ وكان لا يرفعه إلا سبعة وقيل : عشرة وقيل : ثلاثون وقيل : أربعون، ثم تولى إلى الظل أى إلى شجرة ، وهى شجرة صغيرة الورق ، قصيرة الشوك لها برمة صغيرة يأكلها الناس . وكان جائعاً لم يذق طعاماً منذ سبعة أيام . وقد لصق بطنه بظهره . قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : وكان قد بلغ به الجوع ، واخضر لونه من أكل البقل فى بطنه ، وإنه لأكرم الخلق على الله يومئذ فقال ﴿ **رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾ أى إنى لما أنزلت من فضلك وغناك فقير إلى أن تغنينى بك عمن سواك ﴿ **رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ** ﴾ وكان هذا بعد أن ذهبتا إلى أبيهما سريعتين ، وكانت عادتهما الإبطاء فى السقى ، فحدثتاه بما كان من أمر الرجل القوى الذى سقى لهما .

فأمر ـ الأب ـ الكبرى من بنتيه ـ وقيل الصغرى ـ أن تدعوه له« فجاءته » كما تشير تلك الآية ﴿ **فَجَاءَتْهُ** ﴾

فلما جاءته بتلك الرسالة قام يتبعها ، وكان بين موسى ـ عليه السلام ـ وأبيها ثلاثة أميال فهبت ريح ضمت قميصها فوصفت عجيزتها [2] فتحرّج موسى ـ عليه السلام ـ

---

(١) المشهور أنه شعيب وقيل إنه ابن أخيه وقيل مؤمن غيره والراجح أنه ليس بشعيب لأن شعيبًا ـ عليه السلام ـ قال لقومه «وما قوم لوط منكم ببعيد»، وقوم لوط كانوا في الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ وكان بين الخليل وموسى عليهما السلام مدة تزيد على أربعمائة عام، ثم لو كان ذلك كذلك لنص القرآن عليه، والموجود في كتب بنى إسرائيل أن هذا الرجل اسمه ثيرون تفسير ابن كثير ـ سورة القصص آية ٢٧.

(٢) مقعدها.

من النظر إليهـا ، فقال : ارجـعى وارشدينى إلى الطريق بصوتك وقـيل : إنّ موسى قال ابتداءً :

توقى ورائى ،فإنى رجل عبرانى لا أنظر فى أدبار النساء ودلينى على الطريق يميناً أو يساراً ، فذلك سبب وصفها له بالأمانة . قاله ابن عباس .

فوصل مـوسى إلى داعيـة ـ وهو الشيخ الصـالح ـ فقصَّ عليه أمـره من أوله إلى آخره، فآنسه بقوله : ﴿ **لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ (القصص : ٢٥)

وكانت مدين خارجة من مملكة فرعون . ثم قـرَّب إليه طعاماً ، فقال موسى : لا آكل إنّا أهل بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهباً فقال الشيخ الصالح : ليس هذا عوض السقى ، ولكن عادتى وعادة آبائى قرى[1] الضيف وإطعام الطعام ، فحينئذ أكل موسى ـ عليه السلام ـ وهنـا تقول ابنته : ﴿ **يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ** ﴾ وصفته بالقوة لما شاهدت من كيفية السقى وبالأمانة لغض بصره معها .

وعلى جناح السرعـة يطلب الشيخ الصـالح من موسى ـ عليه السـلام ـ أن يتزوج إحدى ابنتيه على أن يكون أجيراً عنده ثمانى سنوات ، أو يتم عشراً من عنده .

فتزوج موسى ـ علـيه السلام ـ الصغرى وأتم أكمل الأجلين ظل أجـيراً عنده عشر سنوات .

والذى يعنينا من هذه القصة الموضوعية ، هو حـياء تلك الفتاة الصالحة التى جاءت موسى ـ عليه السلام ـ تمشى على استحياء وهى تضع كم قمـيصها فوق وجهها . . كما قرأنا قبل ذلك . . فتلك الفتاة الصالحة من بـيت من بيوت الصالحين التى تعتبر مدرسة للأمة الإسلامية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولا سـيما بالنسبة لكل فتاة حرة تريد أن تكون أثراً صالحاً ، وقدوة حسنة لكل فتيات أسرتها ولكل فتاة تريد الخير لنفسها ولأهلها ،أن تكون كابنة هذا الشيخ الصالح بمعنى أن تكون مـلتزمة بالأخلاقيات الكريمة التى تتنافى مع تلك الأخـلاق البذيئـة ، والتصـرفات المشـينة التى حكاها الشـاعر فى قصيدته التى يقول فيها :

---

(١) إكرام الضيف.

والنحر العضدان والفخذان كلهم | أولاء باد ، ما عليه غطاء
وبكفها المرآة تصلح شأنها | كيف اشتهت ومتى وحيث تشاء
وسط الزحام وفى الطريق تهتك | إن التهتك للفتاة شقاء
جزّت غدائرها(1) فصارت وفرةً | لا حبذا بالوفرة الحسناء
تلهو وترقص فى المسارح مثلما | ترتج فوق غصونها الورقاء
ترتج منها كل رجراج كجد | ول زئبق لعبت به نكباء
وهناك تعتنق ويحوطها | بذراعه فتليهما الأهواء
بالاحتكاك وبالتلامس وبالتهامس | والشذى تتكهرب الأعضاء
وإذا غشيت المستحم (2) ترى من | الجنسين أسراباً حواها الماء
جنباً إلى جنب تعوم وقد علا | ذاك القضاء الضحك والضوضاء
فكأن ميل الجنس جُرِّد منها | أفلا تفر من الذئب الشاء
لا وازع يزع الفتاة كمثل ما | تزع الفتاة صيانة وحياء
وإذا الحياء تهتكت أستاره | فعلى العفاف من الفتاة عفاء

وحسب كل شاب كذلك إذا كان من أصل طيب مسلم ويريد أن يحتفظ لنفسه ولأسرته بالذكر الحسن ،أن يكون متخلقاً بخلق الحياء ، وأن لا يكون من أنصاف الرجال الذين عاتبهم الشاعر(3) بقوله :

شباب النيل يا زين الشباب | ويا أشبال آساد غضاب
معى عتب أوجِّهه إليكم | وقد تصفو المودة بالكتاب
أرى فيكم فريقاً حين يمشى | يحك بأنفه طرف السحاب
كليث الغاب فى صلف (4) وتيه | وليس لدى القراع (5) بليث غاب
لزهر النرد (6) قد خُلقت يدان | وليست لليراع (7) والكتاب

(1) جمع غديرة وهي الضفائر (الشعر النازل من المرأة على قفاها وظهرها).
(2) يقصد حمامات السباحة أو المسابح التى فى النوادى والتى يلتقى فيها الفتيان بالفتيات.
(3) وهو الشاعر محمود غنيم.
(4) صلف وتيه: تكبر.
(5) القراع: وقت الحرب.
(6) زهر النرد: قطع الطاولة (أداة اللهو).
(7) البراع : القلم .

تفنن في محاكاة العذارى
وخالفهن في وضع النقاب(١)

وأرسل شعره المضغوط يحكي
وميض (٢) البرق أو لمع السراب

له حلل تحاكي الطيف لونا
بأزرار من الذهب اللباب (٣)

ولا يخشى على شئ ويخشى
إذا ثار الغبار على الثياب

إذا الذئب استحال بمصر ظبياً
فمن يحمي البلاد من الذئاب

برئت من الفتى يبدو فتبدو
عليه نعومة البيض الكعاب

وعلينا جميعا أن نلاحظ تلك الآثار الطيبة والموضوعية، ألا وهي :

حياة الوجه بحيائه ، كما أن حياء الغرس هو من كساه الحياء ثوبه ، ومن لم ير الناس عيبه ، ليكن استحياؤه من نفسه أكثر من استحيائه من غيره. ومن عمل في السر عملا يستحى منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر.

ولنستمع لمن يقول :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه
ولا خير في وجه إذا قلَّ ماؤه

حياؤك فاحفظه عليك وإنما
يدلُ على فعل الكريم حياؤه

إذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستح فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

عيش الفتى ما استحيا بخير
ويبقى العود ما بقي الحياء

ويقول بشار بن برد :

ولقد أصرف الفؤاد عن الشئ
حياء وحبه في السواد

أمسك النفس بالعفاف وأمسى
ذاكرًا في غد حديث الأعادي

وقال أحد الشعراء :

ورب قبيحة ما حال بيني
وبين ركوبها إلا الحياء

إذا رزق الفتى وجهاً قباحاً
تقلب في الأمور كما يشاء

---

(١) النقاب: (البرقع وما ماثله).
(٢) وميض: لمعان.
(٣) اللباب: الذهب الخالص.

وقال أيضاً أحدهم :

وإني ليـثـنيني عن الجـهـل والخنا ... وعن شـتم ذى القـربى خـلائق أربع
حـيـاء وإسـلام وتقـوى وإنني ... كـريم ومـثلي مـن يضـر ويـنفع

وقال أحدهم :

وحـاجة دون أخـرى قـد سنحت لهـا ... جـعلتـهـا لـلتى أخـفـيت عـنواناً
وإننـى لأرى من لاحـيـاء لـه ... ولا أمـانـة وسط القـوم عـرياناً(١)

ومن الفوائد من القصة غير ما سبق:(٢).

١ ـ يجوز العمل بقول المرأة .

٢ ـ يجوز المشى مع النساء مع الاحتياط والتورع لأن موسى نبى ورسول وهو كليم الله.

٣ ـ كيف أرسل الرجل ابنته إليه مع العلم أنه لا يعلم من هو ؟ الظاهر أنه علم أنه نبى مما حكته له ابنته .

٤ ـ يجوز عمل المرأة لحاجة ماسة ضرورية شريطة أن تخرج ساترة لجسدها ، لا تخالط الرجال ، ولا تخضع بالقول لهم وقد يكون العمل واجباً كعمل طبيبات النساء أو المعلمات للبنات الكبيرات .

---

(١) يقصد قشرة العود الخارجية التى تحميه.

(٢) الحقوق الإسلامية لطه عبد الله العفيفى، صـ ٣٨٢ ـ ٣٨٧، بتصرف.

أم موسى ـ عليه السلام

أشار القرآن إلى قصتها قال تعالى :

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ (٤٠) ﴾ (طه : ٣٨ ـ ٤٠)

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) ﴾ (القصص : ٧ ـ ١٣)

وذكروا أن فرعون لما أكثر من قتل الذكور من بنى إسرائيل خافت القبط أن يُفنى فرعون بنى إسرائيل فيلونهم فيما كانو يقومن به من الأعمال الشاقة فقالوا لفرعون :

إنه يوشك إن استمر هذا الحال أن يموت شيوخهم بينما غلمانهم يقتلون. ونساؤهم لا يمكن أن يقمن بما تقوم به رجالهم من الأعمال، فيخلص إلينا ذلك، فأمر بقتل الولدان عاماً وتركهم عاماً فولد هارون ـ عليه السلام ـ فى السنة التى يتركون فيها قتل

الولدان وولد موسى فى السنة التى يقتلون فيها الولدان ، وكان لفرعون ناس موكلون بذلك وقوابل يدورون على النساء فمن رأينها حملت أحصوا اسمها . فإذا كان وقت ولادتها لا يقبلها إلا نساء القبط فإن ولدت المرأة جارية تركتها وذهبت وإن ولدت غلاماً دخل أولئك الذبّاحون بأيديهم الشفار المرهفة فقتلوه ومضوا، قبحهم الله تعالى .

وقال ابن عباس :

إن أم موسى ـ عليه السلام ـ لما تقارب ولادها كانت قابلة من القوابل التى وكلهن فرعون بالحبالى مصافية لأم موسى ـ عليه السلام ـ فلما أحست بالطلق أرسلت إليها وقالت لها : قد نزل بى ما نزل ولينفعنى اليوم حُبك إياى فجلست القابلة فلما وقع موسى ـ عليه السلام ـ إلى الأرض هالها نور بين عينيه فارتعش كل مفصل منها ، ودخل حُب موسى ـ عليه السلام ـ قلبها فقالت :

يا هذه ما جئتك إلا لقتل مولودك ، ولكنى وجدت لابنك هذا حُباً شديداً فاحتفظى بابنك ، فإنى أراه عدوناً ، فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاء إلى بابها ليدخل على أم موسى فقالت أخته : يا أماه هذا الحرس فلفته ووضعته فى تنور مسجور فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع فدخلوا فإذا التنور مسجور ورأوا أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا :لم دخلت القابلة عليك ؟ قالت :

إنها حبيبة لى دخلت للزيارة ، فخرجوا من عندها ورجع إليها عقلها فقالت لأخت موسى أين الصبى ؟ قالت :

لا أدرى فسمعت بكاءً فى التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار عليه برداً وسلاماً فأخذته .

ثمّ إنّ أم موسى ـ عليه السلام ـ لما رأت فرعون جد فى طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله فى قلبها أن تتخذ له تابوتاً ثم تقذف التابوت فى النيل ، فذهبت إلى نجار من أهل مصر فاشترت منه تابوتاً فقال لها :

ما تصنعين به ؟ فقالت : ابن لى أخشى عليه كيد فرعون أخبؤه ، وما عرفت أنه يفشى ذلك الخبر فلما انصرفت ذهب النجار ليخبر به الذباحين فلما جاءهم أمسك الله لسانه وجعل يشير بيده ، فضربوه وطردوه فلما عاد إلى موضعه رد الله نطقه ،فذهب مرة أخرى ليخبرهم به فضربوه وطردوه فأخذ الله بصره ولسانه ، فجعل لله تعالى أنه إن ردَّ عليه بصره ولسانه فإنه لايدلهم عليه فعلم الله تعالى منه الصدق، فردَّ عليه بصره ولسانه وانطلقت أم موسى وأبقته فى النيل. وكان لفرعون بنت، لم يكن له غيرها وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إلى أبيها وكان بها بَرَصٌ شديدٌ .

وكان فرعون قد شاور الأطباء والسحرة فى أمرها ، فقالوا : أيها الملك لا تبرأ هذه إلا من قبل البحر، يوجد منه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك ، وذلك فى يوم كذا فى شهر كذا حين تشرق الشمس ، فلما كان ذلك اليوم غداً (أصبح) فرعون إلى مجلس كان له على شفير النيل ومعه آسية بنت مزاحم (إمرأة فرعون) وأقبلت بنت فرعون فى جواربها حتى جلست على الشاطئ إذ أقبل النيل بتابوت تضربه الأمواج وتعلق بشجرة فقال فرعون :

ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه ، فنظرت آسية فرأت نوراً فى جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته وفتحته ، فإذا هى بصبى صغير فى المهد وإذا نور بين عينيه فألقى الله محبته فى قلوب القوم وعمدت إبنة فرعون إلى ريقه فلطخت به برصها فبرئت وضمته إلى صدرها فقالت الغواة من آل فرعون . إنا نظن أن هذا هو الذى نحذر منه، رُمى فى البحر فرقاً (خوفاً) فهم فرعون بقتله فاستوهبته امرأة فرعون وتبنته فترك قتله (١) .

«وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون» . ولما ذهب موسى ـ عليه السلام ـ إلى البحر صار قلب أمه فارغاً من

---

(١) الفخر الرازى: فى مفافتيح الغيب ، في تفسير الآية (٧) من سورة القصص.

كل شئ من أمور الدنيا إلا من موسى وكادت من شدة وجدها وحزنها وأسفها لتظهر أنه ذهب لها ولد وتـخبر بحـالها لولا أن الله تعالى ثـبتهـا وصبرها ، وربط علـى قـلبهـا وقالت لأخته :

قصيه ، اتبعى أثره وخذى خبره وتطلبى شـأنه فذهبت أخته فبصرت به عن بعد ، وجعلت تنظر إليه وهو فى بيت فرعون ـ وكأنها لاتريده وذلك أنه لما استقرموسى ـ عليه السلام ـ بدار فرعـون وأحبته امرأة الملـك واستطلقته منه عرضـوا عليه المراضع التى فى دارهم فلم يقبل منهـا ثدياً وأبى أن يقبل شيـئاً من ذلك فخرجـوا به إلى السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعـته فلما رأته بأيديهم عرفته ولم تظهـر ذلك ولم يشعروا بها وقد حـرّم الله المراضع تحريماً قدرياً عليـه حتى يعود إلى أمه لتـرضعه وهي آمنة بعـد ما كانت خائفة فلما رأتهم أخت موسى ـ عليه السلام ـ حائرين فيمن يرضعه قالت :

«هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون» .

فلمـا سمعـوا منها هذا الكلام أخـذوها وشكوا فى أمرهـا وقالوا لها ومـا يدريك بنصحهم له وشفقتـهم عليه فقالت لهم : نصحهم له وشفقتهـم عليه رغبتهم فى سرور الملك ورجاء منفعته فأرسلوها فلمّـا قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم ذهبوا معها إلى منزلهم فدخلوا به علـى أمه فأعطته ثديهـا فالتقطه فـفرحوا بذلك فرحـاً شديداً وذهب البشير إلى إمرأة الملك فاستدعت أم موسى وأحسنت إليها وأعطتها عطاءً جزيلاً وهى لا تعرف أنهـا أمه فى الحقيـقة ولكن لكونه وافق ثديها ، ثم سـألتها آسيـة أن تقيم عندها فترضعه فأبت عليها وقالت :

إنَّ لى بعلاً وأولاداً ولا أقـدر على المقام عندك ، ولكن إن أحببت أن أرضـعه فى بيتى فعلت ، فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك وأجرت عليها النفقة والصلات والكساوى والإحسان الجزيل فرجعت أم مـوسى بولدها راضية مرضية [1] كى تقرعيـنها ولا تحزن ولكن أكثرهم لا يعلمون .

---

(١) تفسير ابن كثير : في تفسير الآيات ٧ ـ ١٠ سورة القصص.

إمرأة فرعون

« آسية بنت مزاحم ـ رضى الله عنها »

أشار القرآن الكريم إليها فى قوله تعالى عنها ـ فى شأن موسى ـ عليه السلام ـ :

« وقالت إمرأة فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلون عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً »

هذه هى المرأة التى رأت نور موسى بين عينيه ، ولنأخذ فى عرض ما جاء فى شأنها :

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم : ١١)

سبب إيمانها :

لعل النور الذى رأته بين عينى موسى ـ عليه السلام ـ أثر فيها. وكان السبب الحقيقى لإيمانها امرأة خازن فرعون وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون فوقع المشط من يدها فقالت : تعس مَن كفر بالله فقالت لها بنت فرعون : ولكِ ربٌ غير أبى؟ قالت نعم ، ربى ورب أبيك ورب كُل شئ، الله، فلطمتها بنت فرعون وضربتها وأخبرت أباها فأرسل إليها فرعون فقال : تعبدين رباً غيرى ؟ قالت :

نعم ربى وربك ورب كل شئ الله (١) وإياه أعبد، فعذبها فرعون وأوتد لها أوتاداً فشد (ربط) يديها ورجليها فقال لها :

إنى ذابح ابنك فى فيك (فمك) إن لم تفعلى فقالت له :اقض ما أنت قاض، فذبح في فيها (فمها) وإن روح ابنها بشرتها، فقال لها :أبشرى يا أمة فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا فصبرت ، ثم أتى عليها فرعون يوماً آخر فقال لها : مثل ذلك، فقالت له: مثل ذلك، فذبح ابنها الآخر فى فيها (فمها)، فبشرتها روحه أيضاً وقال لها:

اصبرى يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا ، قال :

وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر فآمنت امرأة فرعون وقبض

---

(١) يأتى خبرها فى الحديث الصحيح «ثلاثة تكلموا في المهد».

٢ ـ أشد الناس ابتلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل .

٣ ـ التمحيص يرفع الدرجات ولذا جاء فى الحديث الصحيح « كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربعة مريم بنت عمران، وإمرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وإنّ فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام [١].

٤ ـ الروح لا يملكها إلا الله .

٥ ـ إثبات الكرامة للأولياء .

٦ ـ قدرة الله حيث جعل امرأة رأس الكفرة مؤمنة وجعل امرأة رسول الله نوح ورسوله لوط كافرتين .

٧ ـ عظم إيمان السابقين فى بنى إسرائيل .

٨ ـ قسوة قلوب الكفرة . حيث ذبح ابن المرأة فى فمها .

٩ ـ قدمت الجار قبل الدار فى قولها : « عندك بيتاً فى الجنة » .

١٠ ـ آسية ـ رضى الله عنها مثال رائع للمؤمنات

قصة بلقيس

ذكر القرآن قصتها فى قوله تعالى :

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبى موسى الأشعرى.

الله روح امرأة خازن فرعون وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها فى الجنة لامرأة فرعون حتى رأت فازدادت إيماناً ويقيناً وتصديقاً ، فأطلع الله فرعون على إيمانها فقال للملأ : ـ ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟

فأثنوا عليها فقال لهم : إنها تعبد غيرى، فقالوا له : اقتلها فأوتد لها أوتاداً فشدّ (ربط) يديها ورجليها، فدعت آسية ربها، فقالت :

(ربّ ابن لى عندك بيتاً فى الجنة)، فوافق ذلك أن حضرها فرعون، فضحكت حين رأت بيتها فى الجنة فقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها ؟ إنا لنعذبها وهى تضحك . فقبض الله روحها فى الجنة

وقيل : كانت امرأة فرعون تسأل من غلب ؟ فيقال : غلب موسى وهارون .

فتقول : آمنت برب موسى وهارون، فأرسل إليها فرعون .

فقال : انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها وإن رجعت عن قولها فهى امرأتى فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها فى الجنة فمضت على قولها وانتزعت ـ الملائكة ـ روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح (١).

وقيل : كانت تعذّب بحرّ الشمس ، فإذا أذاها حرُّ الشمس أظلتها الملائكة بأجنحتها (٢) .

وقيل : سمّر يديها ورجليها فى الشمس على ظهر رحى ، فأطلعها الله تعالى حتى رأت مكانها فى الجنة (٣).

الفوائد من القصة :

١ ـ ما بعد الكفر من ذنب .

---

(١) تفسير الإمام ابن كثير : سورة التحريم الآية (١١).

(٢) تفسير الإمام القرطبى : سورة التحريم الآية (١١).

(٣) تفسير الإمام القرطبى الجامع لأحكام القرآن : الآية (١١)من سورة التحريم.

منَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ﴾ (النمل : ٢٠ ـ ٤٤)

﴿ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وبهدوء واطمئنان يقول الملك سليمان ـ عليه السلام ـ :

﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ ذهب الهدهد بالكتاب، ألقاه إليهم وانتظر ماذا يفعلون .

قالت بلقيس :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ .

كيف ردت بلقيس على هذا الخطاب ؟ قالت : يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى، ما كنت قاطعة أمراً ـ وحدى ـ حتى تشهدون وتحضرون وتوافقون . وهذا من حسن سياستها حتى ألجأتهم إلى أن قالوا : نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين قالت:

﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ والملوك كما هو شأنهم يحرصون على المال لذلك قالت:

﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾ وكانت الهدية من الأموال العظيمة، لتعلم مقصود الملك . ولما كان الملك سليمان ـ عليه السلام ـ لا يقبل الهدية من كافر وهو قادر عليهم بأمر ربه قال : بعد أن جاءه الهدهد ـ

﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ وهنا يصدر القرار الملكى :

ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ـ لا طاقة لهم بها ـ ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ـ أذلاء عليهم الصغار والعار والدمار، فبادروا بطاعته لأن الخالق ـ سبحانه ـ سخرهم له فلما حضروا بين يديه قال :

يا أيها الملأ أيّكم يأتينى بعرشها ـ وهو سرير مملكتها ـ قبل أن يأتونى مسلمين.

قال عفريت من الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ـ وكان مقامه من الصباح إلى قرب الزوال، يقضى شئونهم ويحل مشاكلهم .

قال الذى عنده علمه من الكتاب وهو آصف بن برخيا ـ على الراجح ـ وقد كان يعلم اسم الله الأعظم :

أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ـ قبل أن يفتح عينيه ثم ينظر بها إلى غاية ثم يغمض عينيه .

وتمَّ ما قاله الذى عنده علم من الكتاب ، وأحضر عرش بلقيس، فشكر سليمان الشكور ـ سبحانه ـ قال : ﴿ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ ثم أراد سليمان أن يغير حُلى العرش، ليختبر

فهمها قال: نكروا لها عرشهـا ننظر أتهتدى ـ إليه ـ أم تكون من الذين لا يهتدون ، فلما جاءت ـ إليه ـ قيل : أهكذا عرشك ؟ قالت : كأنه هو .

وصدها ما كانت تعبد من دون الله، أى منعها عبادتهم للشمس من دون الله، فقد كانت من قوم كافرين .

وقد أمر سليمان ـ عليه السلام ـ ببناء قـصر عال من زجاج وجعل فيه من السمك وغيره من دواب الماء وذلك ليبين لها فضل الله وأنَّ ما عندها لا يساوى شيئاً إلى جانب فضل الله حتى لا تغتر بمملكتـها ، فلما رأت الصرح حسبته بحراً وكشـفت عن ساقيها أى لتعبر هذا البحر .

قال لها : إنه صـرح من زجاج وهنا اعترفت بظلم نفـسها وخضعـت لمن يستحق الخضوع له وحده ـ سبحانه وتعالى ـ فأسلمت لمولاها وقيل :

إن سليمان ـ عيه السلام ـ تزوجها .

الفوائد من القصة :

١ ـ طلاقة الـقدرة الإلهيـة حيث سـخر لسليـمان الإنس والجن والطيـر والوحش والريح .

٢ ـ شدة غضب الهدهد بسبب الاعتداء على الله بعبادة الشمس .

٣ ـ العلم ليس حِكراً على أحـد، فقد يؤتى الصغـير من العلم ما لم يؤته الكبـير **﴿ أحطت بما لم تحط به ﴾** .

٤ ـ استحباب ابتداء أى أمر بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » مالم يرد فيه تخصيص بلفظ معين .

٥ ـ قيام الدولة على العدل والشورى كما فعلت بلقيس .

٦ ـ عرض الإسلام قبل قتال الكفار .

٧ ـ الجن أقوى من البشر .

٨ ـ الإيمان يصنع المعجزات .

٩ ـ استحباب شكر الله عند حصول النعم ورفع النقم .

١٠ ـ النعم لأجل الامتحان فمنهم شاكر ومنهم كفور .

١١ ـ رئيس البلاد لابد أن يستمتع بالذكاء .

١٢ ـ أحد أسباب الكفر الطغيان المادى .

١٣ ـ على الداعى أن يبين للكافر عظمة الله وقدرته .

قصة إمرأة عمران أم مريم

أشار الله تعالى إليها فى قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

(آل عمران : ٣٥ ـ ٣٧)

هذه هى امرأة عمران أم مريم وعمران هذا ينتهى نسبه إلى سليمان بن داود.

امرأة عمران كانت لا تحبل فرأت يوماً طائراً يزق(يطعم بغيه) فرخاً له فاشتهت الولد فنذرت لله إن حملت لتجعلن ولدها متحرراً (١) أى حبيساً فى خدمة بيت المقدس قالوا : فحاضت من فورها فلما طهرت واقعها زوجها فحملت بمريم وهى أنثى وليس الذكر كالأنثى فى خدمة بيت المقدس وكانوا فى هذا الزمان ينذرون لبيت المقدس خداماً من أولادهم ودعت مولاها أن يجير ابنتها من الشيطان الرجيم ولنستمع الآن إلى قول

(١) يمكن مراجعة التفسير الكبير وتفسير ابن كثير لهذه الآية.

سيد ولد آدم - ﷺ - « ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها . . »(١)

الفوائد من القصة : -

١ - حنين النساء إلى الأولاد .

٢ - جواز النذر غير المشروط .

٣ - الثناء على الله فى الدعاء .

٤ - دعاء الله بأسمائه الحسنى وأن يكون الاسم موافقاً للمعنى المطلوب .

٥ - إجابة الدعاء من المضطرين .

٦ - من استعاذ بالله نال كرامتين والأمثلة كثيرة فهنا مثلاً لما استعاذت حفظ الله ابنتها من لكز (وسوسة وس) الشيطان ، وتقبلها بقبول حسن وسيأتى أيضاً مثل هذا فى قصة مريم .

٧ - أثر التربية الصالحة عظيم .

٨ - وجوب وفاء النذر .

٩ - من اتقى وقاه الله .

١٠ - التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح .

قصة مريم عليها السلام

مرَّ بنا كيف ولدت مريم وأن الشيطان لم يستطع أن يمسها وابنها . نشأت مريم نشأة عظيمة ، وأنبتها ربها نباتاً حسناً فى الشكل والطول والعرض ، لما وضعتها أمها لفتها فى خروقها ثمّ خرجت بها إلى المسجد فسلمتها إلى العُبّاد الذين يقيمون به وكانت ابنة إمامهم وصاحب صلاتهم فتنازعوا فيها . وظاهر الآيات أنها أخذتها بعد أن رضعت - ثم لما دفعتها إليهم تنازعوا فى أيّهم يكفلها وكان زكريا نبيهم فى ذلك الزمان وقد أراد

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد عن أبى هريرة .

أن يكفلها دونهم من أجل أن زوجته أختها أو خالتها ـ على القولين ـ فطالبوا بالقرعة قال تعالى :

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾

(آل عمران : ٤٤)

وذلك أن كلاً منهم ألقى قلما معروفاً به، ثم حملوها ووضعوها فى موضع وأمروا غلاماً لم يبلغ الحنث (الحُلُم) فأخرج واحداً منهم وظهر قلم زكريا ـ عليه السلام ـ فطلبوا أن يقترعوا مرة ثانية وأن يكون ذلك بأن يلقوا أقلامهم فى النهر فأيهم جرى قلمه على خلاف جريه فى الماء فهو الغالب ففعلوا فكان قلم زكريا هو الذى جرى على خلاف جرية الماء وسارت أقلامهم مع الماء ، ثم طلبوا منه أن يقترعوا ثالثة فأيهم جرى قلمه مع الماء ويكون بقية الأقلام قد انعكس سيرها صعداً فهو الغالب ففعلوا فكان زكريا هو الغالب لهم فكفلها »(١) وزادت مريم فى العبادة والطاعة حتى ظهرت عليها الكرامة وكان زكريا كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً عجيباً، فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف، قال يامريم أنَّى لك هذا ، قالت هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

ونقف وقفة أخرى مع من اصطفاها الله على عالمى عصرها يقول :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤)

(١) البداية والنهاية (٢/ ٣٥) وقصص الأنبياء عند ذكر قصة عيسى ـ عليه السلام ـ.

وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤)﴾.

(مريم : ١٦ ـ ٣٤)

تركت مريم مكان أهلها وأخذت تمشى ناحية الشرق لشئ تريده قيل : لتنتظر حتى تطهر من الحيض .نزل إليها جبريل فى صورة شاب حسن الوجه، سوى الخلق قالت له مريم :﴿ **إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا** ﴾، اعتصمت بالله منه إن كان يتقى الله وأمّا غير التقى فلا تنفعه الموعظة، فأوضح لها جبريل أنه رسول من الله وجاء ليُبشرها بغلام طاهر من الذنوب فاندهشت مريم وقالت:أنى يكون لى غلام . كيف يكون لى غلام ولم أتزوج ولم أزن قال لها :

كذلك قال ربك هو عليَّ هيِّن أى أن خلقه هكذا هيِّن على الله، وخُلِق هكذا ليكون آية للناس. فحملته وأتخذت مكاناً بعيداً ، وحملته فى ساعة واحدة حيث قال :﴿ **فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ** ﴾ « وجع الولادة » ألجأها إلي جزع نخلة ليس بها ثمر وعلى عادة الصالحين ﴿ **قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا** ﴾ فناداها عيسى على الراجح[1] ﴿ **فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا** ﴾ ، « نهراً » ، ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ**

(١) لأنها أشارت إليه ، ولم تستعجب عندما تكلم وكان تحتها مكان النفاس ولا تكون الملائكة فى هذه الأماكن .

إنسيًّا ﴾ فلما جاءت إلى قومـها تحمله قالوا : يا مريم لقد جئت إثمـاً عظيماً، ظنوا بها الفاحشة وزعموا أنها زانية قالوا :

يا أخت هارون فى الطاعة ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمّك بغياً (زانية)، فما كان منها إلا أن أشارت إليه فزاد هذا فى جنونهم وقالوا : إنها تهزأ بنا قالوا: **﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾** .

نطق عيسى فى المهد قائلاً : **﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ ﴾** .

الفوائد من القصة :

١ ـ الموعظة والذكرى تنفع المتقين المؤمنين الخائفين من الله ، فَسَيَذَّكَّرُ من يخشى . إن الذكرى تنفع المؤمنين .

٢ ـ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ـ أو ذكّرهم أحد ـ فإذا هم مبصرون .

٣ ـ جواز تمثل الملك فى صورة البشر .

٤ ـ طلاقة القدرة الإلهية .

٥ ـ خلق الله أسباب بلا مسببـات حيث ألقى إبراهيم ـ عليه السلام ـ فى النار ولم تحرقه ، وخلق مسببات بلا أسباب حيث ولدت مريم بلا زواج .

٦ ـ الأخذ بالأسباب مطالب به العبد . **﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ ﴾** .

٧ ـ من استعاذ بالله نال كرامتين ومريم هنا نالت البراءة ونطق ولدها فى المهد .

٨ ـ مريم هى المرأة الوحيدة التى ذُكِرت فى القرآن، حتى إذا قيل عيسى فهو عيسى ابن مريم ، وذلك لطهارتها ولبراءتها، وكما فى قصتها من العجائب .

عائشة والإفك

ولنبدأ بكلام الرحمن، قال سبحانه :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ

(١) الإفك : أى شدة الكذب والذين جاءوا به ابن أبى وحسَّان وحمنة ومسطح .

(٢) عصبة : جماعة . والذى تولى كبره : أى ابتدأ به وجمعه وأذاعه وأشاعه .

(٣) خطوات الشيطان : طرائقه ومداخله .

(٤) ولا يأتل : من الألية وهو الحلف والمراد أبو بكر الصديق .

(٥) والسَّعة : الغنى . (٦) المُحصنات : المتزوجّات .

لُعنوا في الدُّنيا وَالآخرة ولهم عذابٌ عظيمٌ (٢٣) يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (٢٤) يومئذٍ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أنَّ الله هو الحق المبين (٢٥) الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرةٌ ورزقٌ كريمٌ (٢٦) ﴾ .

فماذا قال : ﷺ عن خبر الإفك ؟

أخبر سعيد بن المسيب وغيره عن حديث عائشة زوج النبى ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله تعالى : وكلهم قد حدثنى بطائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى بحديثها من بعض وأتيت له اقتصاصاً ، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذى حدثنى عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضاً : ذكروا أن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ وآله وسلم قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه قالت عائشة رضى الله عنها: فأقرع بيننا فى غزوة غزاها ، فخرج سهمى، وخرجت مع رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم فى غزوته تلك، وقفل، ودنونا من المدينة ، حتى آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت إلى رحلى ، فلمست صدرى فإذا عقد لى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى إبتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوننى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب وهم يحسبون أنى فيه ، قالت : وكان النساء إذ ذاك خفافاً ، لم يثقلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العُلْقَةَ من الطعام فلم يستنكر القوم خفه الهودج حين رفعوه وحملوه ، وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فتيممت منزلى الذى كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوننى فيرجعون إلى ،فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عيناى فنمت وكان صفوان بن المعطل السُلمى الذكوانى قد عَرّس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلى فرأى سواد إنسان نائم فأتانى فعرفنى حين رآنى وكان قد رآنى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى والله ما كلمنى

ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتيت الجيش بعد ما نزلوا معرسين في نحر الظهيرة ، فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبدالله بن أبي بن سلول ، فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمناها شهراً[1] والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشئ من ذلك وهو يريبني في وجعي: أني لا أرى من رسول الله ﷺ اللطف الذي أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول : « كيف تيكم [2] » فذلك الذي يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت، وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا[3] ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه في البرية وكنا نتأذى بالكنف[4] أن نتخذها في بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد المطلب بن عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أناثة بن عباد بن المطلب ، فأقبلت أنا وأم مسطح، قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها: بئس ما قلت تسبين رجلاً شهد بدراً فقالت أي هنتاه ألم تسمعي ما قال ؟ قلت : وماذا قال ؟ قالت : فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً إلى مرض فلما رجعت إلى بيتي دخل على رسول الله ﷺ فسلم ثم قال : كيف تيكم ،فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي ، قالت : وأنا حينئذٍ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله ﷺ ، فجئت أبوي فقلت لأمي يا أمتاه ماذا يتحدث الناس به ؟ فقالت أي بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها فقلت : سبحان الله أوقد تحدث الناس بها ؟ قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لايرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي ، قالت فدعا رسول الله ﷺ على بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله بالذي يعلم في نفسه لهم من الود ، فقال أسامة

---

(١) مرضت .
(٢) كيف حالكم .
(٣) دورة المياه .
(٤) جميع كنف وهو دورة المياه .

يا رسول الله أهلك ولا نعلم إلا خيرا ، وأما على من أبى طالب فقال : يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساءسواهـا كثير وإن تسأل الجارية تصدقك الخبـر ، قالت فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال « أى بريرة هل رأيت من شئ يريبك من عائشة » فقالت له بريرة والذى بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً أغمصه[١] عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن[٢] تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن فتأكله فقام رسول الله ﷺ وآله وسلم من يومه فاستعذر من عـبد الله بن أبى بن سلول قالت : فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر :

« يا معشر المسلمين من يعذرنى فى رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى، فوالله ما علمت على أهلى إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وماكان يدخل على أهلى إلا معى » .

فقام سعد بن معاذ الأنصارى رضى الله عنه فقال : أنا أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا بأمرك وقالت: فقام سـعد بن عبادة وهو سيـد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ولكن احـتملته الحميـة فقال لسعد بن معـاذ : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قـتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل ، فـقام أسيد بن حضير فـقال لسعد بن عبادة كذبت لـعمر الله لَنَقْتُلَنَّه فإنك مـنافق تجادل عن المنافـقين ، (فثـار الحيـان) الأوس والخزرج ، حتى هـموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ على المنبر فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم[٣] حتى سكنوا وسكت رسول الله ﷺ قـالت: وبكيت يومى ذلك لا يرقأ لى دمع ولا أكـتحل بنوم وأبواى يظنان أن البكاء فالق كبدى قالت فبيـنما هما جالسان عندى وأنا أبكى استأذنت على امرأة من الأنصار فـأذنت لها فجلست تبكى معى فبـينما نحن على ذلك إذ دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس وقالت : ولم يجلس عندى من قبل ،وقد لبث

---

(١) أغمصة : أنكره عليها

(٢) حديثة السن : صغيرة السن .

(٣) يعنى : يُهدأ جميع الحاضرين .

شهـراً لا يوحى إليه فى شأنى شئ قـالت : فتشهـد رسول الله ﷺ ـ حين جلس ثم قال : « أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئكِ الله وإن كنت ألمت بذنب فاستـغفرى الله وتوبى إليه فإن العبد إذا اعـترف بذنبه وتاب تاب الله عليه قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبى : أجب عـنى رسول الله ﷺ فقـال : والله ما أدرى ما أقـول لرسول الله ﷺ ـ قالت فقلت : لأمى أجيبى رسـول الله ﷺ فقالت : والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن والله لقد علمت أنكم سمعتم بهذا الحديث حتى استـقر فى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إنى بريئة والله يعلم أنى بريئة لا تصدقونى ولئن اعترفت بـأمر والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقنى فوالله ما أجدلى ولكم مثـلاً إلا كما قال أبو يوسف **(فصبرٌ جمـيل والله المستعان على ماتصفون)** قالت : ثمّ تحوَّلت فاضطجعت علـى فراشى قالت : وأنا والله أعلم حينئذ أنى بريئة وأنَّ الله تعالى مُبرئى ببراءتى ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل فى شأنى وحى يتلى ، ولشأنى كان أحقر فى نفسى من أن يتكلم الله فىَّ بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ـ ﷺ ـ فى النوم رؤيا يبـرئنى الله بها قالت : فوالله مـارام رسول الله ـ ﷺ ـ مجلسـه ولا خرج من أهل البيت أحـد حتى أنزل الله تعالى على نبـيه، فأخذه ما كـان يأخذه من الْبُرحَاء (١) عند الوحى حتى إنه ليتحـدر منه مثل الجمَّان من العرق وهو فى يوم شات من ثقل القول الذى أنزل عليه قالت : فَسُرِّىَ عن رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال :

« أبشرى يا عائشة. إن الله عز وجل قد برأك .

قالت : فقـالت لى أمى : قومى إليه فقلت : والله لا أقوم إليـه ولا أحمد إلا الله عزَّ وجل، هو الذى أنزل برائتى وأنزل الله عز وجل ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ** ﴾ العشر آيات كلها .

فلمَّا أنزل الله هذا فى براءتى قال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ وكان ينفق على مسطح

(١) أى : الشدة، وذلك من أثر الوحى عليه.

بن أثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذى قال لعائشة فأنزل الله تعالى : ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ فقال أبو بكر : بلى والله إنى لأُحبُّ أن يغفر الله لى، فرجَع إلى مسطح النفقة التى كان ينفقها عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

قالت عائشة : وكان رسول الله - ﷺ - يسأل زينب بنت جحش زوج النبى - ﷺ - عن أمرى فقال : يا زينب ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت : يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى والله ما علمت إلا خيراً .

قالت عائشة : وهى التى كانت تسامينى من أزواج النبى - ﷺ - فعصمها الله تعالى بالورع وطفقت أختها جمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك .

أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما وله روايات أخرى .

وهذه القصة تشتمل على جملة من الآداب والأحكام والفوائد منها :

١ - القذف من الكبائر وحد القذف : ثمانون جلدة ولا تقبل شهادة القاذف ويكون فاسقاً هازلاً أو جاداً كما يحدث فى زمانا من بعض الشباب، يكلم أحدهم صاحبه فيقول : يا ابن الزانية أو يا زانى أو يا منكوح أو يا عِلق أو يا إبن الحرام . . هذا إذا لم يأت القاذف بثلاثة شهود هو رابعهم فإنه لو أتى بهم فجزاه الله خيراً ويُقام الحد على المقذوف .

٢ - أنَّ القاذف له عذاب عظيم فى الدنيا والآخرة ففى الدنيا : الحد وعدم قبول الشهادة ووصمه بالفسق وفى الآخرة : قذف محصنة يهدم عمل مائة سنة مع العذاب الشديد .

٣ - ولينصرنَّ الله من ينصره ، إن تنصروا الله ينصركم ، يكرم الله من أطاعه ، ويرفع اللهمن أيده لقد أنزل الله عشر آيات لبيان براءة الحصان الرزاز الصديقة بنت الصديق عالمة النساء مع أنها - وهى من هى - كانت لا تظن أن ينزل فى حقها قرآن يُتلى.

٤ ـ القذف : هو الرمى بالزنا .

ويشترط فى القاذف :

١ ـ العقل . ٢ ـ البلوغ .

٣ ـ الإختيار (عدم الإكراه) .

ويشترط فى المقذوف فى حقه:

١ ـ العقل .

٢ ـ البلوغ : وعند مالك من قذف صبياً يُحد والأصح التعزير بالمال أو الكلام أو بضرب قليل وهذا يختلف باختلاف الأشخاص .

٣ ـ الإسلام : أما قذف غير المسلم فلا يوجب الحد عند الجمهور لكن إذا قذف النصرانى أو اليهودى المسلم يجب عليه الحد .

٤ ـ الحرية : خلافاً لابن حزم فرأى أن قاذف العبد يُحد .

٥ ـ العفة عن الزنا : فمن وقع فى الزنا وتاب وقذفه قاذف فلا حد على القاذف ولكن يُعزز .

ويشترط فى المقذوف به « لفظ القذف » :

أن يكون صريحاً مثل : يا زانى ، يا ابن الزانية ، يا منكوح يا عِلق . . أما التعريض . كقول بعضهم « لست بزان ولا ابن زانية ، أو أنا ابن حلال ، أو أنت ابن حرام . . أو يا خبيث . .

فذهب مالك إلى الحد وذهب الجمهور إلى عدم الحد ، لكن عليه التعزير عند الشافعى وأحمد . لكن إذا دلت القرائن أنَّه يريد القذف فالأولى أن يُحد .

بم يثبت حد القذف ؟ يثبت حد القذف :

١ ـ بإقرار القاذف نفسه .

٢ ـ بشهادة رجلين عدلين .

ـ تكرار القذف لشخص واحد :

وإذا كرر القذف لواحد فإن لم يكن حُدَّ فيُحد حداً واحداً أمَّا إذا أقيم عليه الحد وقذفه مرة ثانية فيُحد وهكذا لو قذفه ثالثة وأقيم عليه الحد فى المرة الثانية فيُحد للثالثة .

ـ هل يُحد بقذف أصله ؟

قال أبوثور وابن المنذر : يُحد فلو قذف الوالد ابنه يُحد وذهب الشافعية والحنابلة إلى عدم الحد وهو الصحيح(١) .

٥ ـ من تزوج أكثر من واحدة يقرع بينهن وصاحبة الفوز تكون معه .

٦ ـ يندب للمؤمنين والمؤمنات أن لا يتكلموا فى حق من أتهم بالزنا ، فإن كان زانياً فنصون ألسنتنا وإلا فنصون أنفسنا من القذف .

٧ ـ حسن الظن بالمسلمين وعدم التماس عثراتهم وتتبع عوراتهم فإن من تتبع عورة امرىء فضحه الله ولو فى قعر داره .

٨ ـ التمس لأخيك ولو سبعين عذراً .

٩ ـ لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك .

١٠ ـ المنافقون يسقطون عند الشدائد ، ولتعرفنهم فى لحن القول ، فالنفاق لابد أن يظهر يوماً وأن يتعرى لحظة ، وأن يتبرج برهة .

١١ ـ كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون . والمعصومون أنبياء الله وملائكته .

١٢ ـ إدفع بالتى هى أحسن ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، ولذلك رجع أبو بكر عن رأيه ورد مسطح ـ الذى قذف ابنته ـ إلى عمله عنده .

١٣ ـ سب النبى أو لعنه أو شتمه أو أحد أنبياء الله أو أحد رسل الله أو سب زوجات النبى بالقذف أو قذف إحداهن لاسيما عائشة كفر يوجب الخروج من الملة ويجب قتل القاذف .

---

(١) يمكن مراجعة فقه السنة فى الحدود وكذا نيل الأوطار للشوكانى .

حفيدة أيوب
أم سُليم الأنصارية

تعالوا بنا لنقرأ قصة جبل من جبال الصبر، إنها قصة أم صبرت على فلذة كبدها صبراً لا تتحمله الأبدان ولا النفوس، فمَن صاحبة القصة وما صبرها ؟ تعالى،لتسمعى أختاه، أعيرينى الفؤاد والجنان افتحى الآذان .

أخبرنا يا رسول الله - ﷺ :

« قال مالك أبو أنس لامرأته أم سليم - وهى أم أنس - إن هذا الرجل - يعنى النبى - ﷺ - يحرم الخمر - فانطلق حتى أتى الشام فهلك هناك فجاء أبو طلحة ، فخطب أم سليم، فكلمها فى ذلك ، فقالت : يا أبا طلحة، اما مثلك لا يرد ، ولكنك امرؤ كافر ، وأنا امرأة مسلمة لا يصلح لى أن أتزوجك ! فقال : ما ذاك دهرك ، قالت : وما دهرى؟ قال : الصفراء والبيضاء ! قالت : فإنى لا أريد صفراء ولا بيضاء ، أريد منك الإسلام (فإن تسلم فذاك مهرى ، ولا أسألك غيره) ، قال : فمن لى بذلك ؟ قالت : لك بذلك رسول الله ﷺ ، فانطلق أبو طلحة يريد النبى ﷺ ورسول الله ﷺ جالس مع أصحابه ، فلما رآه قال : جاءكم أبو طلحة، غرة الإسلام بين عينيه ، فأخبر رسول الله - ﷺ - بما قالت أم سليم ، فتزوجها على ذلك ، قال ثابت (وهو البنانى أحد رواه القصة عن أنس) فما بلغنا أن مهراً كان أعظم منه، إنها رضيت الإسلام مهراً ،فتزوجها وكانت امرأة مليحة العينين ، وفيها صغر ، فكانت معه حتى ولد له ابن ، وكان يحبه أبو طلحة حباً شديداً . ومرض الصبى (مرضاً شديداً) ، وتواضع أبو طلحة لمرضه أو تضعضع له ، (فكان أبو طلحة يقوم صلاة الغداة يتوضأ ، ويأتى النبى - ﷺ - فيصلى معه ، ويكون معه إلى قريب من نصف النهار ، ويجيىء يقيل ويأكل ، فإذا صلى الظهر تهيأ وذهب ، فلم يجئ إلى صلاة العتمة) فانطلق أبو طلحة عشية إلى النبى - ﷺ - (وفى رواية إلى المسجد) ومات الصبى فقالت أم سليم : لاينعين إلى أبى طلحة أحد ابنه حتى أكون أنا الذى أنعاه له ،

فهيأت الصبى (فسجت عليه) ووضعته (فى جانب البيت) وجاء أبو طلحة من عند رسول الله - ﷺ - حتى دخل عليها (ومعه ناس من أهل المسجد من أصحابه) فقال: كيف ابنى ؟ فقالت : يا أبا طلحة ما كان منذ اشتكى أسكن منه الساعة (وأرجوا أن يكون قد استراح !) فأتته بعشائه (فقربته لهم فتعشوا ، وخرج القوم). ، (قال فقام إلى فراشه فوضع رأسه) ، ثم قامت فتطيبت ، (وتصنعت له أحسن ما كانت تصنع من قبل ذلك) ، (ثم جاءت حتى دخلت معه الفراش ، فما هو إلا أن وجد ريح الطيب كان منه ما يكون من الرجل إلى أهله) ، (فلما كان آخر الليل) قالت : يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا قوماً عارية لهم ، فسألوهم إياها أكان لهم أن يمنعوها فقال : لا ، قالت : فإن الله عز وجل كان أعارك إبنك عارية ، ثم قبضه إليه ، فاحتسب واصبر فغضب ثم قال : تركتينى حتى إذا وقعت بما وقعت به نعيت إلى ابنى ! (فاسترجع ، وحمد الله)، (فلما أصبح اغتسل) ، ثم غدا إلى رسول الله - ﷺ - (فصلى معه) فأحبره ، فقال رسول الله - ﷺ - بارك الله لكما فى غابر ليلتكما ، فثقلت من ذلك الحمل ، وكانت أم سليم تسافر مع النبى - ﷺ - تخرج إذا خرج ، وتدخل معه إذا دخل ، وقال رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقاً ، فدنوا من المدينة ، فضربها المخاض ، واحتبس عليها أبو طلحة وانطلق رسول الله ﷺ ، فقال أبو طلحة : يارب إنك لتعلم أنه يعجبنى أن أخرج مع رسولك إذا خرج ، وأدخل معه إذا دخل . وقد احتبست بما ترى ، قال : تقول أم سليم : يا أبا طلحة ما أجد الذى كنت أجد فانطلقا قال : وضربها المخاض حين قدموا فولدت غلاماً ، وقالت لابنها أنس : (يا أنس لا تطعم شيئاً حتى تغدوا به إلى رسول الله ﷺ (وبعثت منه بتمرات) قال : فبات يبكى ، وبت مجنحاً عليه[1] أكالفه حتى أصبحت ، فغدوت إلى رسول الله ﷺ (وعليه بردة) ، وهو يسم إبلاً أو غنماً (قدمت عليه) ، فلما نظر إليه ، قال لأنس : أولدت بنت ملحان ؟ (قالت) قال : نعم ، (فقال: رويدك أفرغ لك) قال : فألقى ما فى يده فتناول الصبى وقال : (أمعه شئ ؟ قالوا : نعم ، تمرات) فأخذ النبى ﷺ (بعض) التمر (فمضغهن ، ثم جمع بريقه) ، ثم فغرفاه ، وأوجره

(١) مائلاً إليه .

إياه) ، فجل يحنك الصبى وجعل الصبـى يتلمظ (يمص بعض حلاوة التمر وريق رسول الله ﷺ ،فكان أول من فتح أمعاءه ذلك الصبى على ريق رسول الله ﷺ فقال : انظروا إلى حب الأنصـار التمر ، (قـاله قلت : يا رسول الله سـمه ،قال :) (فـمسح وجهه) وسمـاه عبد الله (فما كان فى الأنصار شاب أفـضل منه) ، (قال : فخرج منه رجل[1] كثير ، واستشهد عبدالله بفارس) »

أخرجه الطيالسى (رقم ٢٠٥٦) والسياق له ، ومن طريقه البيهقى (٤/ ٦٥ ـ ٦٦) ـ وابن حـبـان (٧٢٥) وأحـمـد (٣/ ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٨١ ، ١٩٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠) والزيادات كلها له كما سيأتى ، ورواه البخارى (٣/ ١٣٢ ـ ١٣٣) ومسلم (٦/ ١٧٤ ـ ١٧٥) مختـصراً مقتصراً على قـصة وفاه الصبى ، وروى النسائى (٣/ ٨٧) قـسماً من أوله ، والزيادة الأولى له والسادسة والثامنة والخامسة عـشر والسادسة عشر للبخارى ، والتاسعة عشر (الثانية عشر) والثانية والعشرون لمسلم ، وسائرها لأحمد كما سبق .

نعم هنيئاً لك الجنة يا أم سُليم فاسمعى لقول حبيبك ـ ﷺ ـ

« إنَّ الله لا يرضى لعبده المؤمن إذا ذهب بصـفيه من أهل الأرض فصبـر واحتسب بثواب دون الجنة »

أخرجه النسائى (١/ ٢٦٤) عن عبدالله بن عمرو بسند حسن .

مهرها الإسلام

أم سليم بنت مِلّحـان الأنصارية الخزرجيـة النجّارية أم أنس بن مـالك اختلف فى إسمها فقيل :

سهلة وقيل : رمـيلة . وقيل رميثة ، وقـيل : مُليكة والغميضاء ، والرمـيصاء[2] لنقترب فى تهلّل ، ولنقرأ فى أناة لنرى أسمى وأنقى وأتقى ما تكون المسلمة :

---

(١) جمع راجل وهو ضد الفارس .

(٢) أسد الغابة ترجمة رقم ٧٤٧١ والاستيعاب ٤/ ١٩٤٠ .

كانت تحت مالك بن النضر والد أنس بن مالك فى الجاهلية ، فغضب عليها وخرج إلى الشام ومات هناك ، فخطبها أبو طلحة الأنصارى وهو مُشرك فماذا قالت له ؟ قالت: يا أبا طلحة ، ألست تعلم أنَّ إلهك الذى تعبد ينبت من الأرض ، ينجُرها حبشى بنى فلان ؟

قال : بلى . قالت : أفلا تستحى تعبد خشبة؟ إن أنت أسلمت فإنى لا أريد منك الصداق غيره. يا الله، لا تريد مالاً ولا نسباً وحسباً وجمالاً إنما مهرها الإسلام .

قال : حتى أنظر فى أمرى . فذهب ثمّ جاء . فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله .

فقالت : يا أنس ، زوِّج أبا طلحة فتزوَّجها .

(صحابية تنبأ لها ـ ﷺ ـ) بالشهادة .

ومع شمس من شموس الإسلام إنها أم حرام بنت ملحان الأنصارية الخزرجية النجارية خالة أنس بن مالك وزوجة عبادة بن الصامت[1] وإسمها الرميصاء أو قيل الغُميصاء ، ولا يصح لها سم ، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يزورها ويكرمها ويقيل عندها وهى التى تمنت وطلبت الشهادة . فإليك هذا المشهد .

عن أم حرام بنت ملحان أن رسول الله ـ ﷺ ـ نام أو قال[2] فى بيتها فاستيقظ وهو يضحك فقلت : يا رسول الله ما يضحكك ؟ فقال :

عُرض علىَّ ناسٌ من أمتى يركبون ظهر البحر[3] الأخضر كالملوك على الأسرَّة قالت : فقلت يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم .

قال : أنتِ من الأولين ، فتزوجها عبادة ابن الصامت ، فأخرجها معه . فلمَّا جاز البحر (بها)[4] ركبت دابة فصرعتها[5] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٨ / ٣١٨ .

(٢) القيلولة : الاستراحة فى وسط النهار .

(٣) ظهر البحر : أى وسطه .

(٤) زيادة من مسند أحمد .

(٥) رواه البخارى ومسلم وأحمد ٦ / ٤٢٣ وراجعى ـ إن شئت . البداية ٧ / ١٥٣ .

وكانت تلك الغزوة غزوة قبرص فدُفِنت فيها وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبى سفيان فى خلافة عثمان ، ومعه أبو ذر وأبو الدرداء وغيرهما من الصحابة ، وذلك سنة سبع وعشر .

قصة الإيثار

قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) ﴾ .

عن أبى هريرة قال : أتى رجل لرسول الله ـ ﷺ ـ وآله وسلم فقال : يا رسول الله أصابنى الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً فقال النبى ـ ﷺ ـ وآله وسلم «ألا رجل يضيف هذا الليلة، رحمه الله، فقام رجل من الأنصار فقال أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال : لامرأته هذا ضيف رسول الله ـ ﷺ ـ لا تدخريه شيئاً فقالت : والله ما عندى إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالى، فأطفئ السراج ونطوى بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ـ ﷺ فقال : « لقد عجب الله عز وجل أو ضحك من فلان وفلانة » وأنزل الله تعالى « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »[1] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

قصة المجادلة

قال تعالى :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١) .

عن عائشة قالت : الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي - ﷺ - « تكلمه وأنا فى ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ ... ﴾ »(٢) .

وفى رواية : عن خويلة بنت ثعلبة قالت: فىَّ والله وفى أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه، قالت: فدخل علىّ يوماً، فراجعته بشئ، فغضب، فقال: أنت علىّ كظهر أمى . قالت ثم خرج فجلس فى نادى قومه ساعة، ثم دخل علىّ،فإذا هو يريدنى عن نفسى، قالت: قلت: كلا والذى نفس خويلة بيده لا تخلص إلىّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه قالت فواثبنى فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عنى قالت : ثم خرجت إلى بعض جاراتى، فاستعرت منها ثياباً، ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله - ﷺ - فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه وجعلت

---

(١) المجادلة : (١ : ٤) .

(٢) رواه البخارى وأحمد والنسائى وابن ماجة .

أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه قالت: فجعل رسول الله - ﷺ - يقول: « يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير فاتقى الله فيه » قالت: فوالله ما برحت حتى نزل فيّ قرآن، فتغشى رسول الله - ﷺ - ما كان يتغشاه ثم سرى عنه فقال لي :

« يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآناً ثم قرأ عليّ - ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ قالت: فقال لي رسول الله - ﷺ : - « مريه فليعتق رقبة » قالت : فقلت يا رسول الله - ﷺ - ما عنده ما يعتق، قال : « فليصم شهرين متتابعين »، قالت :فقلت والله إنه لشيخ كبير ماله من صيام، قال : « فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر »، قالت : فقلت والله يا رسول الله ما ذاك عنده . فقال : رسول الله ﷺ « فإنا سنعينه بفرق من تمر » . قالت : فقلت يا رسول الله وأنا سأعينه بفرق آخر قال : « قد أصبت وأحسنت فاذهبى فتصدقى به عنه ثم استوصى بابن عمك خيراً » . قالت : ففعلت[1] .

الظهار :

الظهار : هو أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي .

يحرم الظهار لتسميته تعالى له بالمنكر والزور وكلاهما حرام قال تعالى :﴿ **وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا** ﴾[2].

---

(١) رواه أبو داود فى كتاب الطلاق .

(٢) المجادلة : ٢ .

أحكام الظهار هى :

١ ـ جمهور العلماء على أن الظهار لا يختص بلفظ الأم بل يكون بتشبيه الزوجة بكل محرمة عليه تحريماً مؤبداً كالبنت والجدة والأخت والعمة والخالة . إذ الكل فى حكم الأم فى الحرمة المؤبدة .

٢ ـ تجب على المظاهر كفارة إذا عزم على العودة إلى زوجته المظاهر منها، منها لقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا** ﴾ (١).

٣ ـ يجب إخراج الكفارة قبل مسيس المظاهر منها بجماع أو مقدماته للآية السابقة .

٤ ـ لو مسها قبل إخراج الكفارة أثم ، فليتب إلى الله تعالي بالندم والاستغفار وليخرج الكفارة « ما حملك على ذلك، يرحمك الله، فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله »(٢) فلم يلزمه بشىء غير الكفارة .

٥ ـ الكفارة واحدة من ثلاث ، لا ينتقل إلى الثانية إلا عند العجز عن التى قبلها وهى تحرير رقبة مؤمنة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً لقوله تعالى : ﴿ **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا** ﴾ .

٦ ـ يجب موالاة الصيام وسواء صام شهرين قمريين أو ستين يوماً بالعد، فإن فرق الصوم لغير عذر مرض بطل الصوم ووجبت إعادته لقوله تعالى : ﴿ **فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ** ﴾.

٧ ـ الواجب فى الإطعام مدين بر أو مدين من تمر أو شعير لكل مسكين ولو أعطى الوجب لأقل من ستين مسكيناً لما أجزاه .

---

(١) المجادلة : ٣ .

(٢) الترمذى وصححه .

أم أبى هريرة

تعالى معى، لنسمع قصة أم راوية الإسلام، أكثر الصحابة رواية للحديث أبى هريرة عبد الرحمن بن صخر، عن أبى هريرة قال :

كنت أدعو أمى إلى الإسلام وهى مشركة فدعوتها يوماً فأسمعتنى فى رسول الله ما أكره ، فأتيت رسول الله ـ ﷺ ـ وأنا أبكى ، فقلت :

يا رسول الله ، إنى كنت أدعو أمى إلى الإسلام فتأبى علىَّ ، وإنى دعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ :

اللهم اهدِ أم أبى هريرة ، فخرجت مستبشراً بدعوة نبى الله ـ ﷺ ـ فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مُجافٌ(١) فسمعت أمى خَشَف(٢) قدمى فقالت مكانك يا أبا هريرة ، وسمعت خضخضة الماء (أى صوت الماء وهى تتوضأ) .

قال : ولبست درعها ، وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ، وقالت : يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً رسول الله .

قال : فرجعت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأخبرته فحمد الله وقال خيراً(٣) .

انظرى رحمك الله تجلى دعاء النبى ـ ﷺ فى هذه القصة .

وقد حدث أن أم أنس بن مالك ـ أم سليم الأنصارية ـ رضى الله عنهما ـ طلبت من النبى ـ ﷺ ـ أن يدعو لخادمه أنس فدعا له بطول العمر وكثرة المال والولد فطال عمره حتى بلغ حوالى مائة سنة مات سنة ٩٣ هجرية ، وكثر ماله وزادت أرضه ، وكثر أولاده حتى وصلوا إلى مائة وعشرين ولداً ولو أنجبت امرأة، في هذا الزمان، عشرة أولاد أو عشرين لصارت فضيحة على رءوس الأشهاد .

---

(١) أجاف الباب : ردَّه .

(٢) الخشف : الحركة .

(٣) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبى هريرة، وأسد الغابة ٧/ ٤٠٦ .

وقد دعا ـ ﷺ ـ لعبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة بأن يبارك الله له فى صفقة يمينه أى بيعه وشرائه وقد نزلت البركة عليه مدراراً فلما مات بلغت ثروته ما يقارب ميزانية مصر وما يزيد على ثروة أغنياء العالم .

فقد قسِّمت تركته وأعطى لإحدى زوجاته الأربع ولهن الثمن : ثمانمائة ألف درهم فتركته تبلغ ٣٢ مليون درهم تقريباً وهذا من ١٤٠٠ سنة .

إنَّ مليون جنيه من مائة سنة يساوى ٥٠ مليوناً اليوم فما بالنا بـ ٣٢ مليون درهم من ١٤٠٠ سنة .

خطيبة النساء

« أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية(الأشهلية) .

وإليكن موقفها الرائع يوم أن وفِدت على رسول الله ـ ﷺ ـ كممثلة للنساء .

روى عنها مسلم بن عبيد أنها أتت النبى ـ ﷺ ـ وهو بين أصحابه ، فقالت :

بأبى وأمى أنت يا رسول الله ، أنا وافدة النساء إليك ، إن الله ـ عز وجل ـ بعثك إلى الرجال والنساء كافة ،فآمنا بك وبإلهك ،وإنَّا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، ومقضى شهواتكم ، وحاملات أولادكم وإنكم ـ معشر الرجال ـ فُضلتم علينا بالجُمع[1] والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله ـ عز وجل ـ وإن الرجل إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً ، حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، أفما نشارككم فى هذا الأجر والخير ؟! فالتفت النبى ـ ﷺ ـ إلى أصحابه بوجهه كله ، ثمّ قال : هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها فى أمر دينها من هذه ؟ فقالوا: يا رسول الله ، ما ظننا أنّ إمرأة تهتدى إلى مثل هذا فالتفت النبى ـ ﷺ ـ إليها فقال :افهمى أيتها المرأة ، وأعلمى من خلفك من النساء أن حُسن تبعّل[2] المرأة

(١) المراد صلوات الجمعة .

(٢) حُسن مصاحبتها له .

لزوجها وطلبـها مرضاته ، واتباعهـا موافقته ، يعـدل ذلك كله ، فانصرفت المرأة وهى تُهلل » .

نعم إنها أسماء .

أتدرين لقـد قتلت يوم اليـرموك تسـعة من الروم (النصـارى) بعمـود فسطاطـها (خيمتها).

أول مختلعة
« حبيبة بنت سهل الأنصارية »

روى البخـارى والنسائى ، عن إبن عبـاس قال : « جاءت امـرأة ثابت بن قيس بن شمـاس إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقـالت : يا رسول الله ما أعـتب عليه فى خلق ولا دين[1] ولكنى أكـره الكفـر فى الإسلام . فـقال رسـول الله ـ ﷺ ـ : أتردين عليـه حديقته ؟قالت : نعم . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : اقبل الحديقة وطلقها تطليقة » .

وفى رواية « وكان ذلك أول خلع فى الإسلام »[2] .

أختاه . فما الخلع ؟ وما أحكامه ؟ أقول باختصار الخلع : هو فراق الرجل زوجته ببدل يحصل منه .

ولفظه : ألفاظ الخلع « خلعتك . . أو ما فى معناه كالمبارأة » « برأتك . . أو الفدية (فديتك) ولا يجـوز بغير هذا . والبـدل الذى يأخذه الزوج هو المهر ، فكل مـا جاز أن يكون صـداقـاً (مهـراً) جـاز أن يكون عـوضـاً فى الخلع ولا يكون الخلع إلا لسـبب يقتـضيه، كـسوء أخلاق الزوج أو لسـوء دينه أو لسوء خلقه وشكلـه فإن لم يكن هناك سبب يقتضيه فهو محظور .

كما روى النسائى وأحمد من حديث أبى هريرة : ـ

---

(١) أى أنها لا تريد مفـارقته لسوء خُلقـه ، ولا لنقصان دينه ولكن كانت تكرهه لدمـامته ، وهى تكره أن تحملها الكراهية على التنصير فيما يجب له من حق ، والمقصود بالكفر كفران العشير .

(٢) مسند أحمد ٤ / ٣ .

« المختلعات هن المنافقات » وقد رأى العلماء الكراهة ـ والخلع يكون بتراضى الزوجين ، فإذا لم يتم التراضى منهما فللقاضى إلزام الزوج بالخلع والشقاق إن كان ميل الزوجة كاف فى الخلع ، ويحرم على الرجل الإساءة للزوجة لتختلع ، فإن فعل ذلك فالخلع باطل والبدل مردود .

ـ والخلع جائز فى الطهر والحيض .

ـ والخلع يجعل أمر المرأة بيدها ، ولا رجعة له عليها ، وحتى لو ردَّ عليها ما أخذ منها وقبلت ليس له أن يرتجعها فى العدة لأنها قد بانت منه بنفس الخلع .

وله أن يتزوجها برضاها فى عدتها بمهر جديد وعقد جديد .

وعدة المختلعة حيضة واحدة على الراجح ففى قصة ثابت أن النبى ـ ﷺ ـ قال له: خذ الذى لها عليك وخلِّ سبيلها . قال : نعم فأمرها رسول الله ـ ﷺ ـ أن تعتد بحيضة واحدة وتلحق بأهلها « رواه النسائى » بإسناد رجاله ثقات.

ـ وأخيراً الخلع على الراجح فسخ، فلو خالعها له عليها ثلاث تطليقات لأن الخلع لا يعد طلاقاً .

أول شهيدة فى الإسلام
قمة الإيمان
سُمية أم عمار « بنت خُبَّاط »

تعالوا بنا نتحدث عن السابقة إلى الإسلام هيا نتكلم عن سابع سبعة فى الإسلام :

كانت أمة لأبى حُذيفة بن المغيرة المخزومى وكان ياسر حليفاً لأبى حذيفة فزوجه سُمية فولدت له عمَّاراً ، فأعتقه أبو حذيفة . يقول ابن إسحاق حدثنى رجال من آل عمار بن ياسر أن سمية أم عمار عذَّبها هذا الحى من بنى المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم على الإسلام وهى تأبى غيره ، وكان رسول الله يمر بسمية وزوجها ياسر وإبنها عمار ويرى العذاب الذى صب عليهم صباً فيقول صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة .

يا أمة الجبار : ظل العذاب بياسر حتى قتل ، وتقدم اللعين أبو جهل إلى سمية، طعنها أبو جهل بحربة فى قُبلها (فرجها) فماتت رحمها الله .

وأمّا عمار فنزلت عليه ألوان العذاب واشتد به التنكيل والعقاب حتى طلبوا منه أن يقول كلمة الكفر ـ إى والله ـ فقال بلسانه وأنكرها قلبه ، فذهب إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وكله خوف ورعب أن يكون خرج من الإسلام فإذا بالرحمن ينزل براءة ياسر من فوق سبع سماوات .

اسمعى : ﴿ **مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾(١) .

قال مُجاهد : أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة :

١ ـ رسول الله ﷺ . ٢ ـ وأبو بكر . ٣ ـ وبلال .

٤ ـ وخبَّاب . ٥ ـ وصهيب . ٦ ـ وعمار .

٧ ـ وسمية .

فأما رسول الله وأبو بكر فمنعهما قومهما وأمَّا الآخرون فألبسوا أدراع الحديد ثم صُهروا فى الشمس ـ وما أدراك ما حرَّ مكة .

جبل من جبال الإيمان ، قوة وعزيمة ، وإيمان، وصدق ، وصبر وتحمل ، هنيئًا الشهادة يا أول شهيدة ، وما أعظمه من وسام .

زوجة الشهداء
عاتكة بنت زيد

هذه يا أمة الله الصحابية تزوجت أبطال الشهداء أتدرين من هى ؟ ابنة عم عمر بن الخطاب .

هى عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية العدوية أبوها : أحد الحنفاء يبعث أمه وحده وأخوها عاشر عشرة مبشرون بالجنة .

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) الاستيعاب ٤ / ١٨٦٤ .

(٢) سورة النحل : ١٠٦.

كانت من المهاجرات إلى المدينة ، وكانت امرأة عبدالله بن أبى بكر الصديق ، وكانت حسناء جميلة ، فأحبها حباً شديداً حتى غلبت عليه وشغلته عن مغازيه وغيرها، فأمره أبوه بطلاقها ، فقال :(١) .

يقولون : طلقها وخَيِّم مكَانها | مُقيماً ، تُمنِّى النفس أحلام نائم
وإنَّ فراقى أهل بيت جمعتهم | على كِبَر(٢) منى لإحدى العظائم
أرانى وأهلى كالعَجُول تَروَّحت(٣) | إلى بوِّها قبل العشار الرَّوائم

فعزم عليه أبوه حتى طلقها ، فتتبعتها نفسه ، فسمعه أبو بكر يوماً وهو يقول :

أعاتِك لا أنساك ما ذرَّ شارق(٤) | وما ناح قُمرى(٥) الحمامِ المطوَّقُ
أعاتك ، قلبى كل يوم وليلة | إليك بما تُخفى النفوس مُعلَّقُ
ولم أر مثلى طلَّق اليوم مِثلها | ولا مِثلها فى غير جُرم تُطلَّقُ
لها خُلُق جَزل ، ورأى ومنصِبٌ | وخَلْق سَوىٌّ فى الحياء ومَصدق

فرقَّ له أبوه وأمره فارتجعها ، ثمّ شهد عبدالله الطائف مع رسول الله ﷺ فرمى بسهم فمات منه بالمدينة فقالت عاتكة ترثيه :

رُزِئت بخير الناس بعد نبيِّهم | وبعد أبى بكر وما كان قصّرا
فآليت لا تنفك عينى حَزينة | عليك ، ولا ينفك جلدى أغبرا(٦)
فلله عيناً من رأى مثله فتى | أكر وأحمى فى الهياج وأصبرا
إذا شُرِعت فيه الأسِنة خاضها | إلى الموت حتى يترك الرُّمح أحمرا

---

(١) الأبيات فى كتاب نسب قريش ٢٧٧ ، والاستيعاب ٤/ ١٨٧٧ والإصابة ٤/ ٣٤٦ .
(٢) أى كبر السن .
(٣) العجول من النساء والإبل الواله التى فقدت ولدها الثكلى ، لعجلتها فى جيئتها وذهابها جزعاً والبو : ولد الناقة .
(٤) ذرت الشمس طلعت . (٥) القُمرى : طائر يشبه الحمام .
(٦) طبقات ابن سعد ٨/ ١٩٤ ، وكتاب نسب قريش ٢٧٧ .

ـ هذا شهيدها الأول :ـ

فتزوَّجها زيد بن الخطاب وقيل لم يتزوجها ، وقُتِل عنها يوم القيامة شهيداً . وهذا شهيدها الثاني ـ فتزوجها عمر بن الخطاب سنة اثنتى عشرة فأولم عليها[1] فدعا جمعاً فيهم على بن أبى طالب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، دعنى أُكلم عاتكة ، قال :

افعل فأخذ بجانبى الباب وقال : يا عُدية نفسها أين قولك :فآليت لا تنفك عينى حزينة عليك ، ولا ينفك جلدى أغبرا فبكت ، فقال عمر : ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن ؟ كل النساء يفعلن هذا فقال :

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾[2] .

فقتل عنها عمر فقالت عن عمر :

عينٌ ، جودى بعبرة ونحيبُ ... لا تملى على الإمام النجيب
قل لأهل الضراء والبؤس : موتوا ... قد سقته المنون كأس شعوب(٣)

ثمّ تزوَّجها الزبير بن العوام ، ـ بعد شهيدها الثالث ـ فقيل عنها ، فقالت ترثيه : ـ

غَدَر ابن جرموز بفارس بُهمة(٤) ... يوم اللقاء وكان غير معرِّد(٥)
يا عمرو ، لو نبَّهته لوجدته ... لا طائشة رعش الجنان ولا اليد
كم غُمرة ، قد خاضها لم يثنيه ... عنها طِرادك يا ابن فقع القَرْدِد(٦)
ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله ... ممَّن مضى ، ممَّن يروح ويَغتدى
والله ربك إن قتلت لمسلما ... حلَّت عليك عقوبة المتعمد

ثمّ خطبها على بن أبى طالب ، فقالت :

---

(١) صنع لها وليمة النكاح .
(٢) سورة الصف : ٢ ، ٣ .
(٣) الشعوب : المنية : الموت .
(٤) البُهمة : واحدة البُهَم . معضلات الأمور .
(٥) عردّ الرجل تعريد : فرّ .
(٦) الفقع : ضرب من أردأ الكمأة ـ وهى نبات يخرج دون غرس والقردد أرض مرتفعة إلى جنب وهدة .

يا أمير المؤمنين ،أنت بقية الناس وسيد المسلمين ، وإنى أنفس بك عن الموت ، فلم يتزوجها ، وكانت تحضر صلاة الجماعة في المسجد ، فلمّا خطبها عمر شرطت عليه أن لا يمنعها عن المسجد ولا يضربها ، فأجابها على كره منه ، فلما خطبها الزبير ذكرت له ذلك . فأجابها إليه أيضاً فلما أرادت الخروج إلى المسجد للعشاء الآخرة شق ذلك عليه ولم يمنعها . فلمَّا مرت ضرب بيده على عَجُزها « أليتها » فنفرت من ذلك ولم تخرج بعد .

أُسد الغابة لابن الأثير ترجمة رقم : ٧٠٧ .

المرأة الحافظة
« أم هشام بنت حارثة »

إذا نظرت إلى حال المسلمات أثناء خطبة الجمعة وجدتِ الغالبية فى نوم عميق فماذا كان حال الصحابيات . عند سماع خطبة النبى - ﷺ : -

معنا الآن امرأة متيقظة واعية لأن قلبها يسبح فى ذكر الرحمن وأذنها مع النبى العدنان . روى مسلم عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت :

لقد كان تَنُّورنا وتَنُّور[1] رسول الله - ﷺ - واحداً سنتين - أو سنة وبعض سنة - ما أخذت ﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ إلا من لسان رسول الله - ﷺ - وكان رسول الله - ﷺ يقرأ بها كل جمعة إذا خطب الناس »[2] .

ما شاء الله ويؤخذ من هذا أنه يسنّ للخطيب أن يقرأ سورة ق كل جمعة تأسياً به - ﷺ .

□□□

(١) التنوُّر : الفرن الذى يُخبز فيه الطعام .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٣/ ١٣ ، وتفسير ابن كثير فى أول سورة ق .

مهجة النبى صلى الله عليه وسلم
« فاطمة سيدة نساء العالمين »

يا أهل الإيمان غضوا أبصاركم فقد جاء موكب سيدة نساء العالمين .

أبوها سيد الخلق وأمها سيدة نساء الدنيا خديجة وزوجها الشهيد المظلوم أحد العشرة المبشَرين باجنة رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله الفتى المقدام والسيد الهُمام على بن أبى طالب وابناها : سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين .

هذه التى كان يحبها رسول الله حباً جماً .

هذه التى كان يُقبِّلها رسول الله .

هذه التى كان نبى الله سلمٌ لمن سالمها، حرب لمن حاربها .

هذه التى كانت من أصغر بنات سيد الورى ـ عليه السلام .

هذه التى نكحت أكثرهم علماً ، وأفضلهم حلماً وأوَّلهم سلماً .

وهذه التى غار لها رسول الله فأبى أن تُنكح على ضُرَّة قال وهو على المنبر :

إن بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن يُنكحوا ابنتهم على بن أبى طالب ، فلا آذن ، ثمّ لا آذن ، ثمّ لا آذن ، إلا أن يريد على بن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم ، فإنها بضعة منى يُريبنى ما رابها ، ويُؤذينى ما آذاها(١) .

نلتقط هذه اللقطة من لقطاتها :

عن عائشة أقبلت فاطمة تمشى ، كأنَّ مشيتها مشية رسول الله ﷺ ، فقال : مرحباً بابنتى ، ثمَّ أجلسها عن يمينه أو شماله ثمَّ أسرَّ إليها حديثاً فبكت ، ثم أسرَّ إليها حديثاً فضحكت ، فقلت :

ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حُزن ، . فسألتها عمَّا قال ، فقالت :

---

(١) رواه الترمذى «أبواب المناقب» ، باب ما جاء فى فضل فاطمة لحديث ٣٩٥٩ (١٠ / ٣٦٩ ـ ٣٧٠) وقال الترمذى: هذا حديث صحيح .

ما كنت لأفشى سرَّ رسـول الله ﷺ فلمَّا قُبض سألتها ، فـأخبرتنى أنه أسرَّ إلىَّ فقال: إنَّ جبريل كان يُعارضنى بالقرآن فى كل سنة مرة وإنه عارضنى العام مرتين ، وما أراه إلا وقـد حـضـر أجلى ، وإنك أول أهلى لحـوقـاً بى ، ونعْمَ الـسلفُ أنا لـك ، فبكيـت ، فقـال : « ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء العالمين »[1] .

توفيت فاطمـة بعد رسول الله ﷺ بستـة أشهر ، وما رؤيت ضـاحكة بعد وفاة رسول الله ﷺ حتى لحقت بالله عزَّ وجل ووجدت[2] عليه وجداً عظيماً .

كوكب الإسلام
« أم كلثوم بنت عقبة »

أسلمت بمكة وبايعت قبل الهـجرة ، وهى أول مَن هاجر من النساء بـعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ولا يوجد قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا أم كلثوم وكان أبواها كافرين .

وأنتن تعلمن أنَّ المشركين قد شرطوا على رسول الله ﷺ يوم الحديبية أنه من جاء مِن قـبلنا وإن كان على دينك رددته إلينا ومَـن جاءنا من قِـبلك لم نرده إليك فكان يردُّ إليهم مَن جاء مِن قبلهم ليدخل فى دينه .

وقد خـرجت من مكة وحدها وصاحبت رجـلاً من خُزاعة حـتى قدمت المدينة فى الهدنة ، هُدنة الحديبية فخرج فى أثرها أخواها الوليـد وعمارة ابنا عقبة فقدما المدينة من الغد يوم قدمت فقالا :

يا محمد فِ (من الوفاء) لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه ، وقالت أم كلثوم :

يا رسول الله أنا امرأة وحال النساء إلى الضعفاء ما قد علمت ، فتردنى إلى الكفار فيفتنونى فى دينى ولا صبر لى ؟ فقبض الله العهد فى النسـاء فى صلح الحديبية وأنزل فيها المحنة وحكم فى ذلك بحكم رضوه كلهم .

---

(١) رواه البخارى ، كتاب المناقب ٤/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

(٢) حزنت .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ قوله : ﴿ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ ﴾ :أى الصداق ، ثم قال: ﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا ﴾(١) .

قال : هى المرأة تُسلم فيردُ المسلمون صداقها إلى الكفار وما طلق المسلمون من نساء الكفّار عندهم فعليهم أن يردوا صداقهن إلى المشركين ، فإن أمسكوا صداقاً (مهراً) من صداق المسلمين ممن فارقوا من نساء الكُفَّار أمسك المسلمون صداق المسلمات اللاتى جئن من قِبلهم .

والآن إلى مجال آخر من مجالات فقهها البديع .

ـ كانت أم كلثوم زوجة للزبير بن العوام ، وكان فيه شِدة على النساء ، وكانت له كارهة فكانت تسأله الطلاق فيأبى عليها حتى ضربها طلق الحمل وهو لا يعلم ، فألحَّت عليه وهو يتوضأ للصلاة فطلَّقها تطليقة ثمّ خرجت فوضعت فأدركه إنسان من أهله فأخبره أنها قد وضعت فقال : خدعتنى خدعها الله ، فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له فقال سبق فيها كتاب الله فاخطبها قال : لا ترجع إلىَّ أبداً(٢) .

انظرى لفقهها إنها تعلم إذا انقضت عدة المرأة المطلقة لا يجوز لزوجها أن يراجعها إلا بمهر جديد وعقد جديد وبهذا الفقه خرجت من زوجها .

وقد روى البخارى ومسلم عنها أنها قالت : « وما علمته ـ ﷺ ينمى الكذب .. يبيح » إلا فى ثلاث :

ـ الصلح بين الناس .

---

(١) سورة الممتحنة ١١ ، ١٢ .

(٢) ساقه بسنده ابن سعد فى الطبقات ترجمة رقم ٤١٦٥ .

ـ الحرب .

ـ حديث المرأة زوجها وحديث الزوج زوجته . فى الحُب .

بنت بألف بنت

إنها بنت الإيمان :

عن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال : بينما أنا مع عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه وهو يعس « يتحسس » المدينة إذ أعيا « عجز وتعب » فاتكأ على جانب جدار فى جوف الليل فإذا امرأة تقول لابنتها يا ابنتاه قومى إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء فقالت : يا أمتاه وما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم قالت : وما كان من عزمته[1] يا بُنَيَّة قالت :

إنه أمر منادياً فنادى لا يساب[2] اللبن بالماء فقالت لها : يا بُنية قومى إلى اللبن فامذقيه فإنك فى موضع لا يراك عمر فقالت الصبية لأمها : ما كنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلاء فقال عمر : يا أسلم علّم الباب واعرف الموضع ثمّ مضى فى عشيته فلمّا أصبح قال : يا أسلم امضِ إلى الموضع فانظر مَن القائلة ومَن المقول لها وهل من بعل[3] قال : فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيِّم وإذا تلك أمها، وإذا ليس لهم رجل فأتيت عمر فأخبرته فدعا ولده فجمعهم قال :

هل فيكم مَن يحتاج إلى امرأة أزوِّجه ولو كان لأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية فقال عبد الله : لى زوجة وقال عاصم : لا زوجة لى فزوجنى فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم فولدت لعاصم بنتاً وولدت البنت عمر بن عبد العزيز[4] ـ رضى الله عنه .

قمة المراقبة لله تعالى إذا كان عمر لا يرانا فأين الله .

---

(١) أمره . (٢) يُخلط .

(٣) زوج .

(٤) أحكام النساء لأبى الفرج بن الجوزى صـ١٣٨ ط : مكتبة التراث الإسلامى .

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علىَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تُخفيه عليه يغيبُ

امرأة تسأل عن دينها زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود

تعالَين لننظر إلى هذه الأخت التى تسأل عن أمر دينها وتسأل مَن يستحق أن يُفتى بل هو صاحب الفتوى وتسأل قبلَ أن تصنعَ الشىء فاسمعيها .

قالت : قال رسول الله ﷺ : « تصدقن يا معشر النساء ولو من حُليكن . قالت : فرجعتُ إلى عبد الله بن مسعود فقلت له : إنك رجل خفيف ذات اليد[1] وإنَّ رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأته فاسأله فإن كان ذلك يُجزىء عنى[2] وإلا صرفتها إلى غيركم فقال عبد الله : بل ائتيه أنت فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ ـ حاجتى حاجتها وكان رسول الله ﷺ قد ألقيتَ عليه المهابة فخرج علينا بلال فقلنا له ائت رسول الله ﷺ فأخبره أنَّ امرأتين بالباب تسألانك ، أتجزىء الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام فى حجورهما[3] ولا تُخبره مَن نحن فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله فقال لهُ رسول الله ﷺ مَن هما ؟ قال : امرأة من الأنصار وزينب فقال رسول الله ﷺ أى الزيانب هى ؟ قال : امرأة عبد الله فقال رسول الله ﷺ « لهما أجران أجر القرابة وأجر الصدقة » متفق عليه .

هكذا لا كنساء القرن العشرين تقع فى الخطأ ثم تسأل ، وياليتها تسأل عالماً إنما تسأل العجائز !!

ولا تنسى هذا الموقف يا أختاه

عن أسماء بنت أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنهما قالت : قدمت علىَّ أمى وهى

---

(١) قليل المال . (٢) يجوز ويصح .
(٣) فى ولايتها

مُشركة فى عهد رسول الله ﷺ(١) فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت : « قدمت علىَّ أمى وهى راغبة أفأصل أمى ؟ قال : نعم صلى أمك » متفق عليه .

وقولها « راغبة » أى طامعة عندى تسألنى شيئاً قيل : كانت أمها من النسب وقيل من الرضاعة والصحيح الأول .

أرأيت؟ إنها أمها والذى نفسى بيده أمها أقبلت عليها لكنها تنتظر حكم الإسلام هذا هو الإسلام .

زوجة ونعم الزوجة

قال الشعبى : قال لى شريح عليكم بنساء بنى تميم ، فإنهن النساء . قلت : كيف؟ قال : انصرفت من جنازة يوماً فمررت بدور بنى تميم فإذا امرأة جالسة على وسادة تجاهها جارية رؤود لها ذؤابة فأعجبتنى فقلت : من هذه ؟ قالت : ابنتى قلت : فمن ؟ قالت : هذه زينب بنت حدير إحدى نساء بنى تميم . قلت : أفارغة أم مشغولة؟ قالت : فارغة قلت : أفتزوجينها ؟ قالت : نعم إن كنت كفؤاً ولها عم فاقصده فأرسلت إلى مسروق وأبي بردة وغيرهما فوافينا عمها فقال : ما حاجتك ؟ قلت : بنت أخيك زينب بنت حدير ، فزوجنى ، ثم زفت إلى فلما خلا البيت قلت لها : إن من السنة أن تصلى ركعتين وأسأل الله خير ليلتنا فالتفت فإذا هى خلفى تصلى ثم التفت فإذا هى على فراشها فمددت يدى فقالت : على رسلك إنِّى امرأة غريبة ووالله ما سرت سيراً قط أشد على منه، وأنت رجل غريب لا أعرف خلقك ، فحدثنى بما تحب تأتيه وما تكره فأنزجر عنه ، فقلت أحب كذا ، وأكره كذا ، فقالت : أخبرنى عن أختانك أتحب أن يزورك ؟ قلت : ما أحب أن يلهونى، فبت بأنعم ليلة ثم أقمت عندها ثلاثاً ثم رجعت إلى مجلس القضاء فكنت لا أدى يوماً إلا وهو أفضل من الذى قبلة حتى إذا كان رأس الحول دخلت منزلى فإذا عجوز تأمر وتنهى فقلت : يا زينب من هذه ؟ قالت : أمى قلت حياك الله بالسلام قالت : كيف أنت وزوجتك ؟ قلت على خير ، قالت : إن رابك ريب فالسوط قلت أشهد أنها ابنتك فكانت كل حول تأتينا

---

(١) فى عهده مع المشركين فى صُلح الحُديبية .

فتقول هـذا ثم تنصرف فما غضبت عليـها إلا مرة كنت لها فيهـا ظالماً كنت أمام قومى فسمعت الإقامة وقد رأيت عقرباً فعجلت عن قتلها وكفأت الإناء عليها وقلت لا تحركى الإناء حتى أجيء فعجلت الإناء فضربتها العقرب فجئت وهى تلوى فلو رأيتنى يا شعبى وأنا أفرك أصابعها فى الماء والملح وأقرأ عليها .

وكان لى جار لا يزال يضرب امرأته فقلت :

رأيت رجـالاً يـضـربون نـسـاءهم ... فـشلت يمينى يومَ أضـرب زينب

يا شعبى وددت أنى قاسمتها عيشى .

ما أحرصها على ستر بدنها

نساء اليـوم يخرجن كاشفـات أجسادهن إلى الأفـخاذ، أى نهر يعبـرن أو أى بحر يجزن؟ والتقيات منهن تغطى جـسدها وتتكشف لأجل المرض وأمام الطبيب وهذا جائز عند الضرورة إذا لم توجد طبيبات متخصصات .

لكنَّ العـجب أن ترى فعل امـرأة من أهل الجنة كيف كـانت تتسـتر وكيـف كانت تتحجب فاستمعى لعطاء بن أبى رباح يقول :

قال لى ابن عـباس ـ رضى الله عنهـما ـ ألا أُريك امرأة من أهل الجـنة ؟ فقلت : بلى قال : هذه المرأة السوداء أتت النبى ﷺ فـقالت : « إنى أصرع وإنى أتكشف[1] فادع الله تعالى لى قال : إن شئتِ صَبَرتِ ولكِ الجنة ، وإن شئتِ دعوت الله تعالى أن يُعافيك ، فـقالت : أصبر ، فقالت : إنى أتكـشف فادع الله لى أن لا أتكشـف فدعـا لها » متفق عليه .

نعم نِعمَ اللؤلؤة المكنونة ، والجـوهرة المصونة ، أرأيت رغم أنَّ رسـول الله عرض عليها الجنة إلا أنها خافت من ظهور شيء من جسدها .

(١) أى : ينكشف بعض بدنى من الصرع .

سيبدلنى الله عينين
« عابدة مكية »

قال مالك بن دينار : رأيت امرأة بمكة من أحسن الناس عينين ، وكن النساء يجئن فينظرن إليها فأخذت فى البكاء فقيل لها : تذهب عيناك فقالت : إن كنت من أهل الجنة فسيبدلنى الله عينين أحسن من هاتين وإن كنت من أهل النار فسيصيبها أشد من هذا! فبكت حتى ذهبت إحدى عيناها .

عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله .

ومن السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله : رجل (وامرأة) ذكر الله خالياً ففاضت عيناه .

لن تلج النار عينٌ بكت من خشية الله حتى يدخل اللبن فى الضرع ومستحيل أن يدخل .

اعتقت العبيد لتعتق من نار العزيز الحميد

قال هشام بن حسان : خرجنا حُجاجاً فنزلنا منزلاً فقرأ منا رجل ﴿ لها سبعة أبوباً لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾ فسمعت امرأة فقالت : أعد فأعاده فقالت : خلّمت « تركت » فى البيت سبعة أعبد أشهدكم أنهم أحرار لوجه الله تعالى لكل باب « من أبواب النار » واحد منهم .

فماذا أعتقت يا أمة الله ، فكرى فى شأنك ، أمامك عقبة كئود لا يجوزها المثقلون بالمعاصى .

أى والله عقبة وأيما عقبة ﴿ فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة . فك رقبة أو إطعامٌ فى يوم ذى مسغبة . يتيماً ومقربة ، أو مسكنياً ذا متربة ﴾ .

اغتنمى الفرصة :

اغتنمى شبابكِ قبل هرمك . اغتنمى صحتكِ قبل سقمك .

اغتنمى غناكِ قبل فقرك . اغتنمى حياتكِ قبل موتك .

اغتنمى قوتكِ قبل ضعفك .

امرأة لا تتكرر وأولاد لا يتكررون

عن وهب بن مُنبه قال :

أُتى بامرأة من بنى إسرائيل يقال لها سُارة : وسبعة بنين لها إلى ملك كان يفتن الناس على أكل لحم الخنازير ، فدعا أكبرهم فقرَّب إليه لحم خنزير فقال : كُل قال :

ما كنت لآكل شيئاً حرَّمه الله عزَّ وجل علىَّ أبداً فأُمر به فقُطعت يداه ورجلاه وقطعه عضواً عضواً حتى قتله ، ثمّ دعا بالذى يليه ، فقال : كل فقال : ما كنت لآكل شيئاً حرَّمه الله عزَّ وجل علىَّ فأمر بقِدر[1] من نحاس فملأت زمناً ثمّ أغليت ، حتى إذا غلت ألقاه فيها ، ثمّ دعا بالذى يليه فقال :

قل . . قال : أنت أذل وأهون على الله من أن آكل شيئاً حرَّمه الله علىَّ ، فضحك الملك ، وقال : أتدرون ما أراد بسبِّه إياى ؟ أراد أن يغضبنى فأعجِّل فى قتله وليُخطئه ذلك ، ومر فحزَّ جلد عنقه ثمّ أمر به أن يسلخوا جلد رأسه ووجهه ، فسلخوه سلخاً فلم يزل يقتل كل واحد منهم بلون غير قتل أخيه ، حتى بقى أصغرهم فالتفت إليه وإلى أمه فقال لها : لقد أُريت فانطلقى بابنك هذا فاخلى به .

وأريديه على أن يأكل لقمة واحدة فيعيش لك قالت : نعم فخلت به فقالت :أى بنى إنه كان لى على كل رجل من إخوتك حق ، ولى عليك حقان ، وذلك أنى أرضعت كلاً منهم حولين فمات أبوك ، وأنت حمل فنغصت بك فأرضعتك لضعفك ولرحمتى عليك لك أربعة أحوال فأسألك بالله وحقى عليك لما صبرت ولم تأكل شيئاً ممّا حرَّم الله عليك حتى لا تلقى يوم القيامة ولست معهم ، قال : (الصغير) ! الحمد لله الذى أسمعنى هذا منك ، فإنما كنت أخاف أن تريدينى على أن آكل ممّا حرَّم الله علىَّ ثمّ جاءت به إلى الملك فقالت : ها هو ذا قد أردته وعرضت عليه فأمره الملك أن يأكل فقال : ما كنت لآكل شيئاً حرَّمه الله تعالى فقتله وألحقه بإخوته ، وقال لأمهم :

إنى أجدنى أرثى لك مما رأيت اليوم ويحك ، فكلى لقمة ، ثمّ أصنع بك ما شئت

---

(١) ما يوضع فيه الطعام للطبخ .

وأعطيك ما أحببت تعيشين به قالت : أجمع بين ثكل ولدى (أولادى) ومعصية الله ، فلو حييت بعدهم ما أردت ذلك ، وما كنت لآكل شيئاً حرَّمه الله علىَّ أبداً فقتلها وألحقها ببنيها[1] .

ولزوجك عليك حقاً

يا ليت المسلمات يتسمن بحسن الطلب لحوائجهن فتعالى نتعلم من هذه الأخت .

أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه فقالت يا أمير المؤمنين : إنَّ زوجى يصوم النهار ويقوم الليل ، وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله عزَّ وجل فقال لها: نعم الزوج زوجك ، فجعلت تكرر هذا القول ويكرر عليها الجواب فقال له كعب الأسدى : يا أمير المؤمنين هذه المرأة تشكو زوجها فى مباعدته إيَّاها عن فراشه ، فقال عمر : كما فهمت كلامها فاقض بينهما .

فقال كعب : علىَّ بزوجها فأُتى به ، فقال له : إنَّ امرأتك هذه تشكوك ، قال : أفى طعام أو شراب ؟ قال : لا ، فقالت المرأة :

يا أيها القاضى الحكيم رشده ... ألهَى خليلى عن فراشى مسجده
زهَّده فى مضجعى تعبده ... فاقض القضاء كعب ولا تردة
نهاره وليله ما يرقده ... فلست فى أمر النساء أحمده

فقال زوجها :

زهَّدنى فى النساء وفى الحَجَلْ ... أنى امرؤ أذهلنى ما نزل
فى سورة النحل وفى السبع الطوال ... وفى كتاب الله تخويف جلل(٢)

فقال كعب :

إنَّ لها عليك حقاً يا رجل ... نصيبها فى أربع لمن عقل
فأعطها ذاك ... ودع عنك العلل

---

(١) أحكام النساء لابن الجوزى صـ١٢٥ ، ١٢٦ . (٢) عظيم .

ثمّ قال :

إنَّ الله عزَّ وجل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهنَّ ربك فقال عمر :

والله ما أدرى من أى أمريك أعجب ؟ أمن فهمك أمرهما ، أم مِن حكمك بينهما؟ اذهب فقد وليتك قضاء البصرة[1] وتقدير العلماء فى مسألة الجماع فيه خلاف، أولى الأقوال عندى :

أن المقصود تحصينها فإذا كان تحصينها يحتاج لمرة فى كل أربعة أيام كما هو الغالب أو أقل أو أكثر المهم أنه يجب عليه تحصينها وصيانة عرضها .

وفى هذه القصة نلمس حسن أخلاق المرأة ، وحين رد الرجل ، وعدم الشتائم والسباب أمام الخلق .

عبد الله بن رواحة وامرأته

إن عبد الله بن رواحة الأنصارى ، كانت له جارية ، فاتهمته امرأته أن يكون أصابها ، فقالت : إنك الآن جنب منها . فأنكر ذلك فقالت : فإن كنت صادقاً فاقرأ القرآن ، وقد عهدته لا يقرأ القرآن وهو جنب ، فقال :

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا
ويحمله ثمانية شداد ... ملائكة الإله المسومينا

وفي نفس القصة أشعار أخرى وهى :

أتانا رسول الله يتلو كتابه ... كما لاح شهود من الفجر ساطع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

فقالت :

آمنت بالله وكذبت البصر

---

(١) فقه السُّنة (٢/ ٣٤٥) ط : الريان .

امرأة شاعرة

نزل بامرأة رجل من العرب والمرأة من بنى عامر، فأكرمته وأحسنت قراه ، فلما أراد الرحيل تمثل ببيت يهجوها فيه :

لعمرك ما تبلى سرابيل عامر ... من اللؤم مادامت عليها جلودها

فلما أنشده ، قالت لجاريتها : قولى له ألم تحسن إليك ، وتفعل ، وتفعل ؟! هل رأيت تقصيراً ؟ قال : لا . قالت : فما حملك على البيت قال : جرى على لسانى ، فخرجت إليه جارية من بعض الأخبية ، فحدثته حتى أنس واطمأن ثم قالت له : ممن أنت يا ابن عم ؟

قال : رجل من بنى تميم .

قالت : أتعرف الذى يقول :

تميم بطرق اللوم أهدى من القطا ... ولو سلكت سبل المكارم ضلت
أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى ... خلال المخازى عن تميم تجلت
ولو أن برغوثاً على ظهر قملة ... يكر على صفى تميم لولت
ولو جمعت يوماً تميم جموعها ... على ذرة مربوطة لاستقلت
تميم كجحش السوء يرضع أمه ... ويتبعها بالرغم إن هى ولت
ذبحنا فسمينا على ذبحنا ... وما ذبحت يوماً تميم فسمت

قال : لا . والله ما أنا من تميم .

قالت : ما أقبح الكذب بأهله ، فممن أنت ؟ .

قال : رجل من بنى ضبة .

قالت : أفتعرف الذى يقول :

لقد رزقت عيناك يا ابن معكبر ... كما كل ضبى من اللؤم أزرق

قال : لا والله ما أنا من بنى ضبة . قالت : فممن ؟ قال : من بنى عجل ؟ قالت: أفتعرف القائل :

أرى الناس يعطون الجزيل وإنما ... عطاء بنى عجل ثلاث وأربع
إذا مات عجلى بأرض فإنما ... يخط له فيها ذراع وإصبع

قال : لا والله ما أنا من بنى عجل . قالت فممن ؟ قال : من الأزد قالت : أفتعرف القائل :

مما جسرعت أزدية من ختانها ... ولا أكلت لحم القنيص المعقب
ولا جاءها القناص بالصيد فى الخبا ... ولا شربت فى جلد حوت معلب

قال : لا والله ما أنا من الأزد . قالت : فممن ؟ قال : من بنى عبس . قالت : أفتعرف القائل :

إذا عبسية ولدت غلاماً ... فبشرها بلوم مستفاد

قال : لا ، والله ما أنا من بنى عبس . قالت : فممن ؟ قال : من بنى فزارة . قالت : أفتعرف القائل :

لا تأمنن فزارياً خلوت به ... على قلوصك واكتبها بأسيار

قال : لا ، والله ما أنا من بنى فزارة . قالت : فممن ؟ قال : من بجيلة . قالت : أفتعرف القائل :

سألنا عن بجيلة حين جاءت ... لتخبر أين قر بها القرار
فما تدرى بجيلة إذ سألنا ... أقحطان أبوها أم نزار
فقد وقعت بجيلة بين بين ... وقد خلعت كما خلع العذار

قال : لا ، والله ما أنا من بجيلة . قالت : فممن ؟ قال : من بنى نمير . قالت : أفتعرف القائل :

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
ولو وضعت فقاح بنى نمير ... على خبث الحديد رذا لذابا

قال : لا ، والله ما أنا من بني نمير . قال : فممن ؟ قال : من بني باهلة . قالت : أفتعرف القائل :

إذا نص الكرام إلى المعالي ... تنحى الباهلي عن الزحام
إذا ولدت حليلة باهلي ... غلاماً زيد في عدد اللئام
ولو كان الخليفة باهلياً ... لقصر عن مساماة الكرام
وعرض الباهلي وإن توفى ... عليه مثل منديل الطعام

قال : لا ، والله ما أنا من باهلة . قالت : فممن ؟ قال : من ثقيف . قالت : أفتعرف القائل :

أضل الناسبين لنا ثقيف ... فما لهم أب إلا الضلال
فإن نسبت أو انتسبت ثقيف ... إلى أحد فذاك هو المحال
خنازير الحشوش فقاتلوهم ... فإن دماءهم لكم حلال

قال : لا ، والله من أنا من ثقيف . قالت : فممن ؟ قال : من سليح . قالت : أفتعرف القائل :

فإن سليحاً شتت الله شملها

قال : لا ، والله ما أنا من سليح . قالت : فممن ؟ قال : من خزاعة . قالت : أفتعرف القائل :

إذا فخرت خزاعة في ندى ... وجدنا فخرها شرب الخمور
وباعت كعبة الرحمن جهلاً ... بزق بئس مفتخر الفجور

قال : لا ، والله ما أنا من خزاعة . قالت : فممن ؟ قال : من بني أمية . قالت : أفتعرف القائل :

وهي من أمية بنيانها ... فهان على الناس فقدانها
وكانت أمية فيما مضى ... جرياً على الله سلطانها
فلا آل حرب أطاعوا الإله ... ولم يتق الله مروانها

قال : لا . والله ما أنا من بنى أمية . قالت : فممن . قال : من عنزة . قالت : أفتعرف القائل :

ما كنت أخشى وإن كان الزمان لنا ... زمان سوء بأن تغتابنى عنزة
فلست من وائل إن كنت ذا حذر ... ممن يضل كما قد ضلت الحرزة

قال : لا ، والله ما أنا من عنزة . قالت : فممن ؟ قال : من كندة . قالت : أفتعرف القائل :

إذا ما افتخر الكندى ... ذو البهجة بالطره
فدع كندة للنسخ ... فأعلا فخرها غره

قال : لا ، والله ما أناس كنده . قالت : فممن ؟ قال : من بنى أسد . قالت : أفتعرف القائل :

إذا أسديه بلغت ذراعاً ... فزوجها ولا تأمن زناها
وإن أسدية خضبت يديها ... ولما تزن أشرك والداها

قال : لا ، والله ما أنا من بنى أسد . قالت : فممن ؟ . قال : من همدان قالت : أفتعرف القائل :

إذا همدان دارت يوم حرب ... رحاها فوق هامات الرجال
وأسهمَ يحثون المطايا ... سراعاً هاربين من القتال

قال : لا ، والله ما أنا من همدان . قالت : فممن ؟ قال : من نهد . قالت : أفتعرف القائل :

نهد لئام إذا ما حل ضيفهم ... سود وجوههم كالزفت والقار
والمستغيث بنهد عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

قال : لا ، والله ما أنا من نهد . قالت : فممن ؟ قال : من قضاعة . قالت : أفتعرف القائل :

لا يفخرن قضاعى بأسرته ... فليس من يمن محضاً ولا مضر
مذبذبين فلا قحطان والدهم ... ولا نزار فسيجهم إلى سقر

قال : لا ، والله ما أنا من قضاعة قالت : فممن ؟ قال : من بنى شيبان . قالت : أفتعرف القائل :

شيبان رهط لهم عديد وكلهم معرق لئيم
شربهم من فضول ماء يفضل عن أسوة العميم

قال لا ، والله ما أنا من شيبان قالت : فممن ؟ قال : من تنوخ . قالت : أفتعرف القائل :

إذا تنوخ قطعت منهلاً فى طلب الغارات والثار
أتت من بحرى مرار العلى وشتهرة فى الأهل والجار

قال : لا ، والله ما أنا من تنوخ . قالت : فممن ؟ قال : من ذهل . قالت : أفتعرف القائل :

إن ذهلاً لا يبعد الله ذهلاً شر جيل يظل تحت السماء

قال : لا ، والله ما أنا من ذهل . قالت : فممن ؟ قال : من مزينة . قالت : أفتعرف القائل :

وهل مزينة إلا من قبيلة لا يرتجى كرم فيها ولا دين

قال : لا ، والله ما أنا من مزينة . قالت : فممن ؟ قال : من النخع . قالت : أفتعرف القائل :

إذا النخع اللئام عدوا جميعاً تدكدكت الجبال من الزحام
وما يغنى إذا صدقت فتيلاً ولا هى فى الصميم من الكرام

قال : لا ، والله ما أنا من النخع . قالت : فممن ؟ قال : من طى . قالت : أفتعرف القائل :

وما طى إلا نبيط تجمعت فقالوا طياباً كلمة فاستمرت
ولو أن عصفوراً يمد جناحه على دور طى كلها لاستظلت

قال : لا ، والله ما أنا من طى . قالت : فممن ؟ قال : من عَك . قالت : أفتعرف القائل :

عـك لئـــــــــــام كـلـهـم أبـك ليـس لـهـم مـن الملام فـك(١)

قال : لا ، والله ما أنا من عَك . قالت : فممن ؟ قال : من لخم . قالت : أفتعرف القائل :

إذا ما احتبى قوم لفضل قديمهم تباعد فخر الجود عن لخم أجمعا

قال : لا والله ما أنا من لخم . قالت : فممن ؟ قال : من جذام . قالت : أفتعرف القائل :

إذا كأس المدام أدير يوماً لمكرمة تنحى عن جذام

قال : لا ، والله ما أنا من جذام . قالت : فممن ؟ قال : من كلب . قالت : أفتعرف القائل :

فلا تقربن كلباً ولا باب دارها ولا يطمعن سار يرى ضوء نارها

قال : لا والله ما أنا من كلب قالت : فممن ؟ قال : من بلقين قالت : أفتعرف القائل :

إذا ما سألت اللؤم أين محله تصب عند بلقين له طرفان

قال : لا والله ما أنا من بلقين . قالت : فممن ؟ قال : من بنى الحارث بن كعب . قالت : أفتعرف القائل :

حار بن كعب ألا أحلام تحجزكم عنا وأنتم من الجوف الجماخير(٢)
لا عيب فى القوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير

قال : لا ، الله ما أنا من بنى الحارث بن كعب . قالت : فممن ؟ قال : من بنى سليم . قالت : أفتعرف القائل :

إذا ما سليم جئتها فى ملمة رجعت كما قد جئت خزيان نادما

قال : لا ، والله ما أنا من سليم . قالت : فممن ؟ قال : من فارس . قالت : أفتعرف القائل :

---

(١) أبك الرجل : كثر لحمه وبكه بكا : رد نخوته ووضعه أو دق عنقه .

(٢) الجمخور : الأجوف الواسع الجوف .

ألا قل لمعتـر وطالب حاجة | يريد بنجح نفعها وقضاها
فلا تقرب الفرس اللئام فإنهم | يردون مولاهم بخبث دارها

قال : لا ، والله ما أنا من فارس . قالت : فممن ؟ قال : من الموالى قالت : أفتعرف القائل .

ألا من أراد اللؤم والفحش والخنا | فعند الموالى الجيد والكتفان

قال : لا والله ما أنا من الموالى . قالت : فممن ؟ قال : رجل من ولد حام . قالت : أفتعرف القائل :

ولا تنكحوا أولاد حام فإنهم | مشاويه خلق الله حاشا ابن أكوع

قال لا : والله ما أنا من حام . قالت : فممن ؟ قال : رجل من الشيطان الرجيم. قالت : فعليك لعنه الله ، وعلى الشيطان الرجيم ، أفتعرف الذى يقول :

ألا يا عباد الله هذا عدوكم | وذا ابن عدو الله إبليس خاسئا

قال : الله ! الله ! أقيلينى العثرة ، فوالله ما ابتليت بمثلك قط[1] .

نصر بن حجاج
أجمل شاب فى العالم

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بينا هو يطوف فى سكة من سكك المدينة ، إذ سمع امرأة تهتف فى خدرها ، وهى تقول :

هل من سبيل إلى خمر فاشربها | أم من سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى ماجد الاعراق مقتبل | سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه أعراق صدق حين تنسبه | أخى حفاظ عن المكروب فراج
سامى المواطن من بهز له نهل | تضىء صورته للحالك الداجى

فقال عمر رضى الله عنه : أرى معى فى المصر من تهتف به العواتق فى خدورها، على بنصر بن حجاج وهو نصر بن حجاج بن علاط وكان والده من الصحابة فأتى به

(١) طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكى ١/ صـ٢٦٨ ـ ٢٧٩ .

فإذا هو من أحسن الناس وجهاً وعيناً وشعراً ، فأمر بشعره فجز فخرجت له جبهة كأنها شقة قمر فأمره أن يعتم فاعتم .

فافتتن النساء بعينيه ، فقال عمر :

والله لا تساكنى ببلدة أنا بها ، قال يا أمير المؤمنين : ولم ؟ قال : هو ما أقول لك ، فسيره إلى البصرة وخشيت المرأة التى سمعها عمر أن يبدر من عمر فى حقها شىء ، فدست إليه أبياتاً :

قل للإمام الذى تخشى بوادره ... مالى وللخمر أو نصر بن حجاج
إنى منيب أبا حفص بغيرهما ... شرب الحليب وطرف فاتر ساج
إن الهوى ذمه التقوى فحبسه ... حتى أقر بإلجام وإسراج
ما منيه لم أرب فيها بضائرة ... والناس من صادق فيها ومن داج
لا تجعل الظن حقاً أو تيقنه ... إن السبيل سبيل الخائف الراجى

فبكى عمر وقال : الحمد لله الذى حبس التقوى الهوى .

وأتى على نصر حين واشتد ألم أمه فعرضت لعمر بين الأذان والإقامة . فلما خرج يريد الصلاة ، قالت : يا أمير المؤمنين لأجاثينك بين يدى الله سبحانه وتعالى ، ثم لأخاصمنك، أيبيت عبد الله وعاصم إلى جنبك ، وبينى وبين ابنى الفيافى والمفاوز !؟ قال لها : يا أم نصر إن عبد الله وعاصماً لم تهتف بهما النساء العواتق فى خدورهن . فانصرفت ومضى عمر إلى الصلاة . قال : وأبرد عمر بريداً إلى البصرة ، فمكث بالبصرة أياماً ، ثم نادى مناديه : من أراد أن يكتب إلى المدينة فليكتب ، فإن بريد المسلمين خارج . فكتب الناس وكتب نصر بن حجاج : سلام عليك ، أما بعد يا أمير المؤمنين :

لعمرى لئن سيرتنى وحرمتنى ... فما نلت من عرضى عليك حرام
وما لى ذنب غير ظن ظننته ... وفى بعض تصديق الظنون أثام
أإن غنت الذلفاء يوماً بمنية ... وبعض أمانى النساء غرام
ظننت بى الأمر الذى ليس بعده ... بقاء فما لى فى الندى كلام
فأصبحت منفياً على غير ريبة ... وقد كان لى بالمكتين مقام

ويمنعنى مما تقول تكرمى وآباء صدق سابقون كرام
ويمنعها مما يقول صلاتها وحال لها فى قومها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت راجعى فقد جب منا غارب وسنام

فقال عمر : أما ولى إمارة فلا . وأقطعه مالاً بالبصرة وداراً . وكان عمر بن الخطاب ذا فراسة كما قال الشاعر :

بصير بأعقاب الأمور برأيه كان له فى اليوم عينًا على غد

وذلك أن نصر بن حجاج لما نفاه عمر إلى البصرة كان يدخل على مجاشع بن مسعود السلمى وكان به معجباً .

وكانت له امرأة يقال لها الخضيرا وكانت من أجمل النساء وكان لا يصبر عنها ، وهو يومئذ أمير على البصرة نيابة عن أبى موسى الأشعرى فكان لشغفه بها يجمعهما فى مجلسه ، فحانت يوماً من مجاشع التفاتة نصر بن حجاج يخط على الأرض خطوطاً فقالت الخضيرا : وأنا والله . فعلم مجاشع أنه جواب كلام ، فقال: ما قال لك؟ قالت ما أصغى لقحتكم[1] هذه ! فقال مجاشع : ما أصفى لقحتكم هذه ، وأنا والله . ما هذه لهذه ! أعزم عليك لما أخبرتينى . قالت : أما إذ عزمت فإنه قال : ما أحسن شوار[2] بيتكم ، فقال : ما أحسن شوار بيتكم ، وأنا الله . ما هذه لهذه !

وكان مجاشع لا يكتب وهى تكتب . فدعا بإناء فكفاه على الخطوط ، ودعا كاتباً فقرأه فإذا هو : إنى لأحبك حباً لو كان فوقك لاظلك أو تحتك لأقلك .

فقال مجاشع . هذه لهذه .

وبلغ نصراً ما صنع مجاشع فاستحيا ولزم بيته وضنى حتى صار كالفرخ فقال مجاشع لامرأته : اذهبى إليه وأسنديه صدرك وأطعميه الطعام بيدك . فأبت فعزم عليها .

فذهبت إليه ، فلما تحامل خرج من البصرة وكانوا لا يخفون من أمرائهم شيئاً ،

---

(١) اللقحة : الناقة الحلوب .
(٢) الشوار : متاع البيت .

فأتى مجاشع أبا موسى فأخبره ، فقال أبو موسى لنصير : أقسم بالله ما أخرجك أمير المؤمنين من خير، اخرج عنا . .

فأتى فارس ، وعليها عثمان بن أبى العاص الثقفى فنزل على دهقانه فأعجبها ، فأرسلت إليه فبلغ ذلك عثمان بن أبى العاص ، فبعث إليه ، فقال : ما أخرجك أمير المؤمنين وأبو موسى من خير، أخرج عنا . فقال : والله لئن فعلتم لألحقن بالشرك(١)

كم يوماً تصبره المرأة على غياب زوجها ؟

خرج عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فى الليل فسمع امرأة تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه ... وأرقنى أن لا خليل ألاعبه

فوالله لولا الله أنى أراقبه ... لحرك من هذا السرير جوانبه

فسأل عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ابنته حفصة : كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها ؟

فقالت : ستة أشهر . أو أربعة أشهر قال مالك : الشك أربعة أو ستة ، لا أدرى فقال عمر : لا أحبس أحداً من الجيوش أكثر من ذلك(٢) .

والمشهور أربعة أشهر وعشرة أيام .

□□□

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ١/ صـ٢٨١ ـ ٢٨٤ .

(٢) طبقات الشافعية (١/ ٢٨٤) المحقق ط : الحلبى .

طفلة هداها الله للإسلام
(عميرة بنت أبى الحكم)

حدَّث غير واحد عن أبى الحكم رافع بن سنان أنه : أسلم ولم تُسلم امرأته ، فأتت النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إنَّ أبا الحكم أخذ ابنتى ومنعنيها فأمر رسول الله ﷺ أبا الحكم فجلس ناحية ، وأمر المرأة فجلست ناحية ، ووضع الجارية بينهما ثمّ قال : ادعواها فدعواها فمالت إلى أمها فقال رسول الله ﷺ اللهم اهدها ، فمالت إلى أبيها فأخذها ، واسمها عُميرة بنت أبى الحكم(١) .

فتاة بألف فتاة

مع المتوكلة الشاكرة مع المتيقنة الصابرة ، مع الولية الطاهرة فى ريعان الزهور وفى عمر الورود هذه الزهرة اليانعة والبستان الأخضر من بساتين التوكل .

إنَّ حاتم الأصم وهو من هو . هو الزاهد العابد التقى النقى الورع ، ولم يكن أصماً يا إخوتاه ، ولم يكن لا يسمع يا صاحبتاه إنما كان سميعاً بصيراً يا إخوانى .

وإنما سُمِّى أصماً لأنَّ امرأة جاءته سائلة وبينما هى تبدأ سؤالها إذا بها تخرج ريحاً بصوت « ضراط » فاستحيت ، فإذا بالعابد الذكى قال لها : ارفعى صوتك حتى أسمع السؤال ، فرفعت ، فقال : ارفعى صوتك فرفعت حتى أيقنت أنه لم يسمع فعندئذ سألت ، وهكذا نجت المرأة من الخزى ، ونالت حاجتها. هذا العابد ذهب ذات يوم ليحج بيت الله الحرام ، وأعدَّ لأولاده ما يحتاجون إليه ، فبكى الأولاد وقالوا : لَمن تتركنا ؟ فقالت هذه الفتاة : دعوه فليس برازق .

وبعد فترة نزلت بهم ضائقة فأخذوا يعاتبون هذه الفتاة ، فلجأت إلى مولاها : مولاى لقد قلت بأنك الرزاق فلا تخذلنى .

وإذا بربك يحرك قلب رئيس هذه البلد ليذهب ليتحسس حال الرعية ! وهو النائم

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الطلاق، باب إذا أسلم أحد الأبوين مع مَن يكون الولد ؟ ومسند أحمد عن أبى سلمة ٥/ ٤٤٦ .

الذى لا يسأل إلا عن نفسه ، وبينما هو يمر علـى بيوت الرعية وعند بيت حاتم الأصم عطشه الله قـال : إنى عطشان فـجاءوا له بماء من بيت حـاتم ووضع الله فى الماء اللذة حتى وضع الأمير كـيساً من الذهب فى كوب الماء وقال لمن حوله مـن الجند والحاشية : مَن أحبنى فليصنع صنيعى .

وبالطبع فالكل سيصنع كالأمير مَن أحَب ومن لم يحبً ، إنه الأمير .

ووصل هذا المال كله للأولاد فـسعدوا وفـرحوا لكنَّ صـاحبة القـصة الفـتاة بكت فتعجبوا من أمرها أتبكى بعد أن جاء هذا المال ما الذى يُبكيك قالت : « إنَّ مخلوقاً نظر إلينا نظرة واحدة فاغتنينا فكيف لو نظر الخالق ـ يوم القيامة إلينا »، كلام من ذهب .

أرأيت اليقين ، إنها قصة بلا تعليق .

المتظاهرتان على الرسول
(عائشة وحفصة)

كان رسول الله رءوفاً رحيماً ، وما ضرب امرأة قط وكان يُداعب نساءه .

ورغم هذا كانت إحداهن لا تكلمـه إلى الليل ولازلن يتعبنه حتى حـرَّم على نفسه الحلال وإليك ما حدث .

روى البخارى عن عائشة قالت :

كان رسـول الله ﷺ يُحبُّ الحلوى والعسل وكـان إذا انصرف من العـصر دخل على نسائه فـيدنو من إحداهن فـدخل على حفصـة بنت عمر فـاحتبس أكثـر من كان يحتـبس، فغِرتُ فسـألت عن ذلك فقيل لى : أهدت لهـا امرأة من قومهـا عكة عسل فسقت النبى ﷺ منه شـربة فقلت : أما والله لنحتالن له فقلت لسـودة بنت زمعة إنه سيدنو منك فـإذا دنا منك فقولى : أكلت مغافـير، فإنه سيقول لك، فـقولى له ما هذا الريح التى أجـد، فإنه سيـقول لك سـقتنى حـفصة شـربة .. قالت : جـرست نحلة العرفط(١) فلمَّا دار إلىَّ قلت نحو ذلـك، فلمَّا دار إلى صفية قـالت له مثل ذلك، فلمَّا

---

(١) جرست نحلة العرفط : أى رعت نحله شجر العرفط الذى صمغه المغافير فلهذا ظهر ريحه فى العسل=

دار إلى حفصة ، قالت : له يا رسول الله ألا أسقيك منه ؟ قال : لا حاجة لى فيه . . قالت : تقول سودة والله لقد حرمناه قلت لها اسكتى . . وفى رواية مسلم « كان رسول الله يشتد عليه أن يوجد منه الريح » يعنى الريح الخبيثة ولهذا قلن له : أكلت مغافير[1] لأن ريحها فيه شئ .

وهذا يدل على أنّ الساقية هى حفصة ، وفى الحديث الآخر الذى له روايات كثيرة أنّ الساقية هى زينب بنت جحش وهو المشهور، فعن عائشة قالت : كان النبى ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتوطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له : أكلت مغافير إنى أجد منك ريح مغافير : لا ولكنى كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبرى بذلك أحداً . (تبتغى مرضاة أزواجك)[2] .

واللتان تظاهرتا عليه هما : عائشة وحفصة، عن ابن عباس قال : « لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبى ﷺ اللتين قال الله تعالى ﴿ **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما** ﴾ حتى حج عمر وحججت معه فلمّا كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة فتبرز ثمّ أتانى فسكبت على يديه فتوضأ فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبى ﷺ اللتان قال الله تعالى فيهما : ﴿ **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما** ﴾ فقال عمر : وا عجباً لك يا ابن عباس (قال الزهرى ، كره والله ما سأله عنه ولك يكتمه) قال : هى عائشة وحفصة قال : ثمّ أخذ يسوق الحديث قال :

كنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلمّا قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم

= الذى شربته قاله الجوهرى : جرست النحل العرفط تجرس إذا أكلته ومنه قيل : للنحل جوارس قال الشاعر : تظل على الثمراء منها جوارس . وقال الجرس : والجرس الصوت الخفى ، ويقال سمعت جرس الطير إذا سمعت صوت مناقيرها على شيء تأكله .

(١) المغافير شبيه بالصمغ يكون فى الرمث فيه حلاوة، أغفر الرمث إذا ظهر فيه ، واحدها مغفور ويقال مغافير وهكذا قال الجوهرى وقد يكون المغفور أيضاً للعشر والثمام والسلم والطلح (الموز) والرِمث بالكسر مرعى من مراعى الإبل .

(٢) رواه البخارى فى كتاب التفسير . تفسير سورة التحريم وفى الأيمان والنذور .

فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال : وكان منزلى فى دار أمية بن زيد من الموالى ، قال : فغضبت يوماً على امرأتى فإذا هى تراجعنى فأنكرت أن تراجعنى فقالت : ما تُنكر أن أراجعك ؟ فوالله إنَّ أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل قال : فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت : أتراجعين رسول الله ﷺ ؟ قالت : نعم قلت : وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل ؟ قالت : نعم قلت : قد خاب مَن فعل ذلك منكن وخسر أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هى قد هلكت لا تراجعى رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئاً وسلينى من مالى ما بدا لك يغرنك إن كانت جارتك (يعنى عائشة) هى أوسم (أى أجمل) . وأحب إلى رسول الله ﷺ منك . قال : وكان لى جار من الأنصار وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً فيأتينى بخبر الوحى وغيره وآتيه بمثل ذلك - قال :

وكنا نتحدث أنَّ غسان تنحل الخيل لتغزونا فنزل صاحبى يوماً ثمّ أتى عشاءً فضرب بأبى ثمّ نادانى فخرجت إليه فقال حدث أمر عظيم فقلت : وما ذاك أجاءت غسَّان ؟ قال : لا بل أعظم من ذلك وأطول، طلّق رسول الله ﷺ نساءه فقلت : قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائناً ، حتى إذا صليت الصبح شددت علىَّ ثيابى ثمّ نزلت فدخلت على حفصة وهى تبكى فقلت : أطلقكن رسول الله ﷺ؟ فقلت : لا أدرى، هو هذا معتزل فى هذه المشربة ، فأتيت غلاماً له أسود فقلت :

استأذن لعمر فدخل الغلام ، ثمّ خرج إلىَّ فقال : ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المنبر فإذا عنده رهط جلوس، يبكى بعضهم فجلست عنده قليلاً ثمّ غلبنى ما أجد فأتيت الغلام فقلت : استأذن لعمر، فدخل ثمّ خرج إلىَّ فقال : قد ذكرتك له فصمت ، فخرجت فجلست إلى المنبر ثمّ غلبنى ما أجد فأتيت الغلام فقلت : استأذن لعمر فدخل ثمّ خرج إلىَّ فقال : قد ذكرتك له فصمت فوليت مُدبراً فإذا الغلام يدعونى فقال :

ادخل قد أذن لك، فدخلت فسلَّمت على رسول الله ﷺ ، فإذا هو متكىء على رمل حصير، فقلت أطلقت يا رسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه إلىَّ وقال : لا ، فقلت: الله أكبر، لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلمّا قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، فغضبت على امرأتى

يوماً، فإذا هى تراجعنى فأنكرت أن تراجعنى فقالت : ما تُنكر أن أراجعك ؟ فوالله إنَّ أزواج النبى ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل، فقلت : قد خاب مَن فعل ذلك منكن وخسرت، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله، فإذا هى قد هلكت، فتبسم رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت : لا يغرنك أن كانت جارتك هى أوسم أو أحب إلى رسول الله ﷺ منك، فتبسم أخرى فقلت : استأنس يا رسول الله ؟ قال : نعم فجلست فرفعت رأسى فى البيت فوالله ما رأيت فى البيت شيئاً يرد البصر إلا أهبة مقامه فقلت : ادع الله يا رسول الله أن يوسِّع على أمتك، فقد وسَّع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله ، فاستوى جالساً وقال :

أفى شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا - فقلت : استغفر لى يا رسول الله وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهنَّ حتى عاتبه الله عزَّ وجل(١) .

وهذه القصة هى التى أشار إليها القرآن الكريم : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥)** ﴾

ومما هو جدير بالذكر :

لو أنَّ رجلاً قال لزوجته : أنت علىّ حرام أو قال : امرأتى علىَّ حرام فما الحكم ؟ فإن قصد تحريم العين، فهو يمين فيه كفارة والكفارة إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فيصوم ثلاث متتابعات أو متفرقات .

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

وإن نوى بقوله : « أنت عليّ حرام » الطلاق كـان طلاقاً لأنَّ هذا اللفظ من ألفاظ طلاق الكناية ، فـإن نوى الطلاق فهـو طلاق وإلا فليس طلاقاً وإن لم ينـو طلاقاً ولا تحريماً فلا شيء ويقارب هذا من حَلف ألا يُجامع زوجته .

ـ فحكمه إذا حلف ألا يجامعها أكثر من أربعة أشهر فهو إيلاء وهو آثم فإن جامعها في الأربعة أشهر كفَّر كفارة يمين كما سبق ، وإن مضت الأربعة أشهر فإمَّا أن يطلِّق وإمَّا أن يرجع إليها ويجامعها وإن حلف أقل من أربعـة أشهر فعليه أن لا يفعل هذا مرة ثانية وليكفِّر عن يمينه ويجامعها .

الميت يُعذَّب بنِياحة أهله عليه

قال صالح المرى : كنت ذات ليلة جمعة بين المقابر، فنمت وإذا بالقبور قد شُقِّقت وخرج الأموات منها وجلسـوا حلقاً ونزلت عليهم أطباق مغطية وإذا فـيهم شاب يُعذب بأنواع العذاب من بينهم قال : فتقدمت إليه وقلت : يا شاب ما شأنك ؟ تعذب من بين هؤلاء القوم ؟ فقال يا صالح بالله عليك بـلِّغ ما آمرك به وأدِ الأمانة وارحم غربتى لعل الله عز وجل أن يجـعل لى على يديك مخرجاً إنّى لما مت ولى والدة جـمعت النوادب والنوائح يندبـن علىّ وينحن علىّ كل يوم، فـأنا مـعـذب بذلك النار عـلى يمينى وعن شمالى وخلفى وأمامى لسوء مقال أمى، فلا جزاها الله عنّى خيراً، ثمّ بكى حتى بكيت لبكائه ثُمّ قال : يا صـالح بالله عليك اذهب إليها فهـى بالمكان الفلانى وعلّم لى المكان وقل لهـا : لِمَ تعذبى ولـدك يا أماه ربيـتيـنى ومن الأسواء وقـيتـينى فَلِمَ فى العـذاب رميـتينـى؟ يا أماه لو رأيتـينى والأغلال فى عُنقى والقـيد فى قـدمى وملائكة الـعذاب تضربنى وتنهرنى فلو رأيت سوء حالى لرحمـتينى وإن لم تتركى ما أنتِ عليه من النَدب والنياحة الله بينى وبينك يوم تشقق سماء عن سماء ويبرز الخلائق لفصل القضاء .

قال صالح : فـاستيقظت فَزَعـاً ومكثت فى مكانى قلقاً إلى الفجر فلمـا أصبحت دخلت البلد ولم يكن لى هم إلاّ الدار التى لأم الصبى الشّاب فاستـدللت عليها فأتيتها فإذا الباب مسدود وصوت النوادب والنوائح خارج من الدار فطرقت الباب فخرجت إلىّ عجوز فقـالت : ما تريد يا هذا ؟ فقلت : أريد أم الشاب الذى مات . فـقالت : وما تصنع بها إنهـا مشغولة بـحزنها فقلت : أرسليـها إلىّ معى رسـالة من ولدها فدخلتْ

فأخبرتُها فخرجتْ أم عليها ثياب سـود ووجهها قد اسودّ من كثرة البكاء واللطم فقالت لى : من أنت ؟ قلت أنا صـالح المرى جرى لى البـارحة فى المقـابر كذا وكذا . فـلمّا سمـعت المرأة ذلك غُمى عليهـا وسقطت إلى الأرض، فلما أفـاقتْ بكتْ بكاءاً شديداً وقالت :

يا ولدى يعزّ علىّ ولو علمت ذلك بـحالك ما فعلت وأنا تائبـة إلى الله تعالى من ذلك ثُمّ دخلت وصرفت النوائح ولبست غير تلك الثياب وأخرجت إلىّ كيساً فيه دراهم كثيرة وقالـت يا صالح : تصدق بهذه على ولدى، قال صالح : فودعتـها ودعوت لها وانصرفت وتصـدقت عن ولدها بتلك الدراهم، فلمّا كـانت ليلة الجمعـة الأخرى أتيت المقابر على عـادتى فنمت فرأيت أهل القـبور قد خـرجوا وجلسوا على عـادتهم وأتتهم الأطباق ، وإذا بذاك الشاب ضاحك فرح مسرور فجاءه أيضاً طبق فأخذه فلما رآنى جاء إلىّ فقال : يا صالح جزاك الله عنى خيراً ، خفف الله عنى العذاب وذلك بترك أمى ما كانت تفـعل ، وجاءنى مـا تصدقت به عنى، قال صـالح: فقلت : ومـا هذه الأطباق فقـال: هذه هدايا الأحياء لأمواتهم من الصـدقة والقراءة والدعـاء ينزل عليهم كل ليلة جمـعة، يقال له هذه هدية فلان إليك، فـارجع إلى أمى وأقرئها منى السـلام وقل لها جزاك الله عنّى خيراً .

الرزّاق هو الله

روى أن حاتماً الأصم قال لأولاده : إنِّى أريد الحج فبكوا وقالوا : إلى من تكلنا ؟

وكانت له بنت عابدة فقالت : دعـوه يذهب فليس برازق فخرج فباتوا ـ فى يوم ـ جياعـاً ، فجعلوا يوبخون تلك البنت فـقالت : اللهمّ لا تخجلني بينهم فمـر بهم أمير البلد فقال لبعض أصحابه : اطلب لى ماءً فناوله أهل حاتم « كوزاً » جديداً وماءًا باردًا ـ فشرب فقال ، دار من هذه ؟ فقالوا دار حـاتم الأصم ـ (فرمى فيها منطقة من ذهب وقال : (من أحبنى وافقنى) . .

فرمى العساكـر كلهم ما معهم من المال فى هذا الإناء فجـعلت البنت تبكى فقالت

أمها : ما يُبكيك وقد وسّع الله علينا ؟ فقالت : لأنّ مخلوقاً نظر إلينا فاستغنينا . فكيف إذا نظر الخالق إلينا ؟

سارق تائب

دخل لص بيت رابعة العدوية ليلاً لكى يسرقه ،فلم يجد فيه غير إبريق فيه ماء ، فلما أراد الخروج، قالت له عندما رأته يتسلل إلى الباب : يا هذا . . إن كنت من الأذكياء فلا تخرج بغير شيء . فقال اللص إنى لم آخذ شيئاً فقالت له : يا مسكين توضأ بهذا الإبزيق وادخل فى هذه الحجرة وصلِّ ركعتين فإنك ما تخرج إلا بشىء . ففعل اللص ما أمرته به فلما قامَ يصلى رفعت رابعة بصرها إلى السماء وقالت : (سيدى ومولاى هذا أتى بابى فلم يجد شيئاً عندى وقد أوقفته ببابك فلا تحرمه من فضلك وثوابك) . فلمّا فرغ من الركعتين، لذت له العبادة، فصلى إلى آخر الليل، فلما كان وقت السجود دخلت عليه فوجدته ساجداً معاتباً نفسه قائلاً :

إذا مـــا قـــال لـى ربى	أمـا استـحـيت تعـصـينى
وتخـــفـى الذنب من خلقى	وبالعـــصـــيـان تأتينى
فـــمـــا قـــولى له لماياتينى	ويـقــــــــيـنـى

فلما انتهى من ليته قالت له كيف ليلتك فقال : بخير وقفت بين يدى مولاى بذلى وافتقارى فقبل عذرى وجبر كسرى وغفر ذنبى وبلغنى المطلوب ثم انطلق هائماً فرفعت كفها إلى السماء وقالت : هذا وقف ببابك ساعة فقبلته وأنا قد عرفتك (أتراك قبلتنى)؟ (صفة الصفوة ترجمة رابعة) .

حق الجار

كان لأبى حنيفة جار يهودى يلقى أمام داره يومياً القاذورات فكان أبو حنيفة ينظف أمام بيته دون أن يقول لليهودى شيئاً إلى أن حدث يوماً أن أبا حنيفة لم يجد القاذورات أمام بيته كالمعتاد فسأل عن جاره هذا فقيل له : إنه قد سجن فذهب بنفسه إلى السجن وتشفع للجار .

الخوف من الله

يقول منصور بن عمّار : دخلت الكوفة فبينما أمشى فى ظلمة الليل رذ سمعت بكاء رجل بصوت شجى من داخل الدار وهو يقول :

إلهى . وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك ولكن عصيتك بجهل ، فالآن من ينقذنى من عذابك ؟ وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عنِّى ؟ وإذنوباه واغوثاه يا الله . قال منصور : فأبكانى كلامه فوقفت فقرأت : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ (التحريم : ٦) فسمعت للرجل اضطراباً شديداً وصياحاً فوقفت حتى انقطع صوته ومضيت فلما أصبحت أتيت إلى دار الرجل فوجدته قد مات والناس فى تجهيزه وعجوز تبكى فسألت عنها فقيل هى أمه ،فتقدمت إليها وسألتها عن حاله فقالت : كان يصوم النهار ويقوم الليل ويكتسب الحلال فيقسم كسبه ثلاثاً : ثلث لنفقته وثلث لنفقتى وثلث صدق به فلما كان البارحة مر إنسان وهو يقرأ فسمع آية ففارق الدنيا .

لا تظلموا اليتامى

عن بعض العلويين ـ وكان نازلاً ببلخ من بلاد العجم وله امرأة علوية وله منها بنات وكانوا فى سعة ونعمة ، فمات الزوج، فأصاب المرأة وبناتها بهذا الفقر والقلة، فخرجت ببناتها إلى بلدة، أخرى، خوف شماتة الأعداء واتفق خروجها فى شدة البرد، فلما دخلت ذلك البلد، ادخلت بناتها فى بعض المساجد المهجورة ، وظلت تحتال[1] لهم فى القوت[2] فمرت بجمعين : جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد ، وجمع على رجل مجوسى وهو ضامن البلد . . فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له ، فقالت : أنا امرأة علوية ومعى بنات أيتام، أدخلتهن بعض المساجد المهجورة ، وأريد الليلة قوتهم قال لها : أقيمى عندى البينة أنك علوية شريفة وقالت : أنا امرأة غريبة ما فى البلد من يعرفنى، فأعرض عنها، فمضت من عنده منكسرة القلب فجاءت إلى ذلك الرجل

---

(١) تجمع .　　　(٢) الطعام .

المجوسى فقد فشرحت له حالها وأخبرته أن معها بنات أيتام وهى امرأة شريفة غريبة وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم فقام وأرسل ومن نسائه وأتوبها وبناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام وألبسهن أفخر الثياب وباتوا عنده فى نعمة وكرامة .

قال : فلمّا انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم فى منامه كأن القيامة قد قامت وقد عقد اللقاء على رأس النبى ﷺ وإذا القصر من الزُّمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان فقال يا رسول الله لمن هذا القصر ؟ قال : لرجل مسلم موحد .

فقال : يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد . فقال : رسول الله ﷺ أقم عندى البينة أنك مسلم موحد قال : فبقى متحيراً . فقال له رسول الله ﷺ لما قصدتك العلوية قلت : أقيمى عندى البينة أنك علوية فكذا أنت أقم عندى البينة أنك مسلم .

فانتبه الرجل حزيناً على ردة المرأة خائبة ثُمَّ جعل يطوف بالبلد ويسأل عنها حتى دل عليها أنها عند المجوسى فأرسل إليه فأتاه فقال له : أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها فقال : ما إلى هذا من سبيل وقد لحقنى من بركاتهم ما لحقنى قال : خذ منّى ألف دينار وسلمهنّ إلىَّ فقال : لا أفعل . فقال : لابد منهن .

فقال : الذى تريده أنت أنا أحق به والقصر الذى رأيته فى منامك خلق لى . أتدل علىّ بالإسلام ؟ فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل الذى رأيت فى منامك وقال لى رسول الله ﷺ : العلوية وبناتها عندك ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال القصر لك ولأهل دارك وأنت وأهل دارك من أهل الجنة خلقك الله مؤمناً فى الأزل قال : فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله .

عالم وحاكم

بين طاووس ومنصور

ورد أن أبا جعفر المنصور استدعى طاووس أحد علماء عصره ومعه مالك بن أنس رحمهما الله تعالى فلما دخلا عليه ألطرق ساعه ثم التفت إلى طاووس .

فقال له : حدثنى عن أبيك يا طاووس (ابن كيسان التابعى) فقال حدثنى أبى أن رسول الله ﷺ قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله فى حكمه فأدخل عليه الجور فى عدله » فأمسك ساعة .

قال مالك : نظمت ثيابى مخافة أن يملأنى من دمه ثم التفت إليه أبو جعفر .

فقال عظنى يا طاووس قال : نعم يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ⁽٦⁾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ⁽٧⁾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ⁽٨⁾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ⁽٩⁾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ⁽١٠⁾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ⁽١١⁾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ⁽١٢⁾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ⁽١٣⁾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ⁽١٤⁾** ﴾ .

قال مالك : فلممت ثيابى مخافة أن يملأنى من دمه فأمسك عنه ثم قال : ناولنى الدواة فأمسك ساعة حتى أسود ما بيننا وبينه ثم قال : يا طاووس ناولنى هذه الدواة فأمسك عنه .

جهاد النساء

سبى الروم نساءً مسلمات ، فبلغ الخبر الرَّقَّة وبها هارون الرشيد أمير المؤمنين ، فقيل لمنصور بن عمّار : لو اتخذت مجلساً بالقرب من أمير المؤمنين فحرضّت الناس على الغزو ففعل فبينا هو يذكرهم ويُحرِّض إذا نحن بخرقة مصرورة مختومة قد طرحت إلى منصور وإذا كتاب مضموم إلى الصُّرة ففك الكتاب فقرأه فإذا فيه :

« إنى امرأة من أهل بيوتات من العرب ، بلغنى ما فعل الروم بالمسلمات فهذه ضفائر من شعرى لتكون قيداً لفرس من فرسان المسلمين » . فبكى القوم .

النساء ثلاث

حلف رجلٌ ألا يتزوج حتى يستشير مـائة نفس لما قاسى من بلاء النساء ، فاستشار تسعة وتسعين نفـساً وبقى واحد فخرج على أن يسأل أول من نظر إلـيه ، فرأى مجنوناً قد اتخذ قلادة من عظم ، وسوّد وجهه ، وركب قصـبة ، فأخذ رمحه ، فسلَّم عليه ، وقال : مسألة فقال : سل مـا يعنيك ، وإياك ومالا يُعنيك فقلت : مجنون ـ والله ـ ثمّ قلت : إنى أصبت من النساء بلاء وآليت ألا أتزوج حتى أستشير مائة نفس ، وأنت تمام المائة ، فقال : اعلم أن النساء ثلاث :

واحدة لك وواحدة عليك وواحدة لا لك ولا عليك فـأمّا التى لك فشابة طرية لم تمس الرجـال فهى لك لا عليك إن رأت خـيراً حـمدت ، وإن رأت شراً قـالت : كل الرجال علىّ مثل هذا .

وأمّا التى عليك فامرأة ذات ولد من غيرك ، فهى تسلخ الزوج وتجمع لولدها .

وأمّا التى لا لك ولا عليك فامرأة قد تزوجت قـبلك فإن رأت خيراً قالت : هكذا يجب وإن رأت شراً حنّت إلى زوجها الأول .

فقلت : نشدتك الله ما الذى غيّر من أمرك ما أرى ؟!

قال : ألم أشترط عليك ألا تسأل عمّا لا يعنيك ؟!

فأقسمت عليه فقال : إنى رُشحت للقضاء ، فاخترت ما ترى على القضاء[1] .

---

(١) عقلاء المجانين صـ٦١ ، ٦٢ .

إلى أين تذهب وليس لك باب غير بابه؟

حصل لرجل صالــح شرود وإباق من سيده ، فرأى فى بعض السكــك باباً قد فُتح وخرج منه صبى يستغيث ويبكى ، وأمه خلفه تطرده ، حتى خرج ، فأغلقت الباب فى وجهه ودخلت فذهب الصبى غير بعيـد ثُمَّ وقف مُفكراً ، فلم يجد له مأوى غير البيت الذى أخرج منــه ، ولا من يؤديه غير والــدته ، فرجع مكســور القلب حزيناً ، فـوجد الباب مُرتجاً ، فتوسده[1] ووضع الخد على عتـبة الباب وناح ، فخـرجت أمه فلمّا رأته على تلك الحال لم تمـلك أن رمت نفسهـا عليه والتزمـته تقبله وهــى تبكى وتقول : يا ولدى : أين تذهب عنى ؟ ومن يؤديك غيرى ؟ ألم أقل لك لا تخالفنى ؟

ولا تحملنى بمعصيـتك لى على خلاف ما جبلتُ عليه من الرحمـة بك ، والشفقة عليك ، وإرادتى الخير لك ثمّ أخذته ودخلت فتاب العبد ورجع لسيده[2] .

فإذا كان هذا وذاك هكذا فـيا عاصيا ليس لك بـابٌ غير باب الله ، إلى أين تذهب ألك ربٌ غيره ؟!

الوصية الغالية

أوصت أعرابية بنتها فى ليلة زفافهـا فقالت : أى بنية : إنّ الوصية لو تُركت لعقل وأدب أو مكرمـة فى حسب لتـركت ذلك منك ، ولزويته عنك ولكـنّ الوصية تـذكرة للعاقل ، ومُنَبِّهة للغافل .

أى بنية : إنّك قد فارقت الحواء الذى منه درجت ، إلى وَكْر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بمُلكِه عليكِ مَلَكاً فكونى له أمة يكن لك عبداً ، واحفظى عنى خصالاً عشراً تكن لك دركاً وذكراً .

ـ **فأما الأولى والثانية :** فالمعاشرة له بالقناعة ، وحـسن السمع والطاعة فإنّ القناعة راحة القلب ، وحسن السمع والطاعة رأفة الرب .

---

(١) أمسكه .

(٢) كتاب التوبة صـ٤٣ ط : مكتبة السنة عابدين للإمـام شمس الدين أبى عبد الله بن قيم الجوزية . تحقيق صاب البطاوى .

ـ **وأمّا الثالثة والرابعة** : فلا تقع عيناه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح وأعلى ، أى بنية . . إنّ الماء أطيب الطيب المفقود ، وأنّ الكحل أحسن الحسن الموجود .

ـ **وأمّا الخامسة والسادسة** : فالتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه ، فإنّ حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النومة مغضبة .

ـ **وأمّا السابعة والثامنة** : فالاحتفاظ بماله ، والرعاية على حشمه (ذوى قرباة) وعياله فإنّ الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير .

ـ **وأمّا التاسعة والعاشرة** : فلا تُفشى له سراً ، ولا تعصى له أمراً ، فإنك إن أفشيت سرَّه لم تأمنى غَدْره ، وإن عصيتِ أمره أوغرتِ صدره .

واتقى الفرح بين يديه إن كان تَرِحا (حزينا) والاكتئاب عنده إذا كان فَرِحاً ، فإنَّ الأولى من التقصير والثانية من التكدير .

واعلمى أنك لن تصلى إلى ذلك منه حتى تؤثرى هواه على هواك ورضاه على رضاك ، فيما أحببت وكرهتِ(١) .

من قصصُ الصالحين الصالحات
زوجة أبى حنيفة

كان أحد الصالحين واسمه ثابت بن إبراهيم يسير ذات يوم فى طريق ما ، إذ سقطت تفاحة من بستان فأخذها وأكل نصفها ، وتذكر أنها ليست من حقه فدخل على البستانى وقال له : أكلت نصف تفاحة فسامحنى فيما أكلت وخذ النصف الآخر : فقال البستانى : أنا لا أملك السماحة فالبستان ليس ملكى وإنما هو ملك سيدى قال : وأين سيدك حتى أذهب إليه وأستسمحه فقال له بينك وبينه مسيرة يوم وليلة فقال لأذهبن إليه مهما كان الطريق بعيداً لأن النبى ﷺ قال : « كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به» وذهب إلى صاحب البستان وطرق بابه وفتح له الرجل الباب وبعد أن سلم عليه قال

---

(١) الحقوق الإسلامية، لطه الهفيفى صـ٣٥١ ط : دار التراث العربى .

سامحنى فيما أكلت من التفاحة وهذا نصفها فنظر إليه صاحب البستان وقال لا أسامحك إلا بشرط واحد فقال : وما هو ؟ فقال أن تتزوج ابنتى ففرح ولكنه ذكر إليه أوصافها فقال ثابت : قبلت خطبتها وسأتاجر فيها مع ربى ثم أقوم بخدمتها ثم أتى أبوها بشاهدين فشهدا على العقد وإذا بصاحب البستان يدخل ابنته الحجرة المعدة للزواج ودخل عليها ثابت وقال سألقى عليها السلام وأنا أعلم أنها صماء لتردَّ علىّ الملائكة فألقى عليها السلام فردت عليه ووقفت ووضعت يدها فى يده فقال : ماذا حدث ؟ ردت السلام إذاً ليست بكماء وسمعت السلام إذاً ليست صماء وقامت واقفة إذاً ليست مقعدة ومدت يدها إذاً ليست عمياء ، فقال لها : إن أباك قد أخبرنى أنك صماء وبكماء مقعدة عمياء ولم أر ما أخبرنى به فقالت : إن أبى أخبرك بأنى عمياء فأنا عمياء عن الحرام ، لأن عينى لا تنظر إلى ما حرم الله ، صماء عن كل ما لا يرضى الله ، بكماء لأن لسانى لا يتحرك إلا بذكر الله ، مقعدة لأن قدمى لم تحملنى إلى ما يغضب الله ونظر ثابت إلى وجهها فكأنه القمر ليلة التمام ودخل بها وأنجب منها مولودا ملأ طباق الأرض علماً إنه أبو حنيفة .

فضل مجالس الذكر
(العلم والقرآن)

قال عمّار الراهب :

رأيت مُسكينة الطُفاية فى منامى ، وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقلت : مرحباً يا مسكينة مرحباً .

قالت : هيهات يا عمّار ذهبت المسكنة وجاء الغنى الأكبر .

قلت : هيه .

ما تسأل عمّن أُبيح الجنة بحذافيرها يُظل منها حيث يشاء .

قلت : وبم ذاك يرحمكِ الله ؟

قالت : بمجالس الذكر والصبر على الحق .

قال : وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زاذان بالأُفُلَّة تنحدر من البصرة حتى تأتيه قاصدة .

قال عمار : قلت : يا مسكينة ما فعل عيسى ؟ فضجَّت ثم قالت : كُسِى حلَّة البهاء ، وطافت بأباريق حوله الخُدَّامُ ثُمَّ حُلِّى .

وقيل : يا قارئا أرق، فلتمرى، لقد برأك الصيام[1] .

الصدق يُنجيك

أراد أبو يزيد البسطامى الذهاب إلى بغداد لطلب العلم فأعطته أمه أربعين ديناراً هى ميراثه من أبيه ، وقالت له :ضع يدك فى يدى وعاهدنى على التزام الصدق فلا تكذب أبداً فعاهدها على ذلك ، وخرج مع قافلة يريد بغداد وفى أثناء الطريق خرج اللصوص ونهبوا كل ما فى القافلة ورأوا البسطامى رث الثياب .

فقالوا : هل معك شىء ؟ فقال : معى أربعين ديناراً فسخروا منه وحسبوا أنه أبله وتركوه وراحوا إلى الكهف الذى كان به كبيرهم ينتظر ما يأتون به ، فلمّا رآهم قال : هل أخذتم كل ما فى القافلة قالوا : نعم إلا رجلاً سألناه عمّا معه فقال : معى أربعين ديناراً فتركناه إنكاراً لشأنه ، ونظن أنّ به خبلاً فى عقله فقال : علىَّ به ، فلمّا حضر بين يديه .

قال : هل معك شىء .

قال : نعم معى أربعون ديناراً .

قال : أين هى ؟ فأخرجها وسلّمها له . فقال كبير اللصوص : أمجنون أنت يا رجل ؟ كيف تُرشِد عن نقودك وتُسلِّمها باختيارك ؟ فقال له : لما أردت الخروج من بلدى عاهدت أمى على الصدق فأنا لا أنقض عهد أمى فقال كبير اللصوص : لا حول ولا قوة إلا بالله أنت تخاف أن تخونَ عهد أمك ونحن لا نخاف أن نخون عهد الله ، ثم أمر كبير اللصوص برد جميع ما أُخِذ من القافلة وقال أنا تائب على يديك فقال من

---

(١) مجالس القرآن، حتى لا يفهم البعض أنها مجالس أذكار المتصوفة ـ صفة الصفوة (٤/ ٤٢ ، ٤٣) .

معه : أنت كبيرنا فى قطع الطريق واليوم أنت كبيرنا فى التوبة(١) .

من ستر مسلماً ستره الله

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى :

رأيت رسول الله ﷺ فى النوم وهو يقول : أطلق القاتل فارتعت لذلك ودعوت بالشموع ونظرت فى أوراق السجن وإذا ورقة إنسان ادُّعِى عليه بالقتل وأقر به فأمرت بإحضاره فلمّا رأيته وقد ارتاع فقلت له : إن صدقتنى أطلقتك فحدثنى أنه كان هو وجماعة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة وأنّ عجوزاً جاءت لهم بامرأة فلمّا صارت عندهم صاحت الله الله وغُشِى عليها فلما أفاقت قالت : أُنشدك الله فى أمرى فإنّ هذه العجوز غرتنى وقالت : إنّ فى هذه الدار نساء صالحات وأنا شريفة، جدى رسول الله ﷺ وأمى فاطمة وأبى الحسين بن على فاحفظوهم فىَّ، فقمت دونها وناضلت عنها فاشتدّ علىّ واحد من الجماعة وقال : لابد منها .

وقاتلنى فقتلته وخلّصت الجارية من يده فقالت : سترك الله كما سترتنى وسمع الجيران الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولاً والسكين بيدى فأمسكونى وأتوا بى إليك وهذا أمرى فقال إسحاق : قد وهبتك لله ولرسوله .

فقال : وحق الذى وهبتنى له لا أعود إلى معصية أبداً(٢) .

هكذا فليكن الزوج

عن محمد بن نصر الضبى قال : سمعت أمى تقول : سمعت مريم امرأة أبى عثمان تقول : صادفت من أبى عثمان خلوة فاغتنمتها فقلت : يا أبا عثمان أى عملك أرجى عندك ؟ فقال : يا مريم لمّا ترعرعت وأنا بالرى ، وكانوا يريدوننى على الزّواج فأمتنع ، جاءتنى امرأة فقالت : يا أبا عثمان قد أحببتك حبًّا أذهب نومى وقرارى ، وأنا أسألك بمقلب القلوب وأتوسل إليك أن تتزوج بى !

---

(١) الحقوق الإسلامية لطه العفيفى صـ٤١٦ ، ٤١٧ .

(٢) المستطرف جـ٢ ، صـ٦٧ .

فقلت ألك والدٌ ؟ قالت : نعم فلان الخيّاط فى موضع كذا وكذا، فراسلت أباها أن يزوجها منّى ، ففرح بذلك ، وأحضرت الشهود ، فتزوجت بها ، فلمّا دخلت وجدتها عوراء عرجاء شوهة الخلق فقلت : اللهمّ لك الحمد على ما قدَّرته لى !

وكان أهل بيتى يلومننى على ذلك وأزيدها براً وإكراماً إلى أن صارت بحيث لا تدعنى أخرج من عندها إلا إلى حضور المجالس إيثاراً لرضاها ، وحفظًا لقلبها ، ثُم بقيت معها على هذه الحال خمس عشرة سنة ، وكأنى فى بعض أوقاتى على الجمر ، وأنا لا أبدى (أُظْهِر) إليها شيئاً من ذلك إلى أن ماتت ! فما شيء أرجى عندى من حفظى عليها ما كان فى قلبها من جهتى)[1] .

عقوق الوالدين

عن العوّام بن حوشبٍ قال :

نزلت مرة حيًا وإلى جانب ذلك الحى مقبرة، فلمّا كان بعد العصر اشتق منها قبر فخرج رجل برأسه رأس حمار وجسده جسد إنسان فنهق ثلاث نهقات ثُمّ انطبق عليه القبر فإذا عجوز تغزل شَعرًا أو صوفاً ، فقالت امرأة :

ترى تلك العجوز ؟ قلت : ما لها ؟ قالت : تلك أم هذا ؟ قلت : ،وما كان قصته ؟ قالت : كان يشرب الخمر فإذا راح تقول له أمه : يا بنى اتق الله إلى متى تشرب هذه الخمر ؟ فيقول لهَا ؟ إنَّما أنت تُنهِّقين كما يُنهِّق الحمار !! ، قالت : فمات بعد العصر .

قالت : فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم فَتَنْهق ثلاث نَهَقَات ثمّ ينطبِقُ عليه القبر .

رواه الأصبهانى وغيره وقال الأصبهانى . حدَّث به أبو العباس الأصم إملاءً بنيسابور بمشهد من الحُفَاظ فلم ينكروه[2] .

---

(١) عودة الحجاب لمحمد بن إسماعيل جـ٢ صـ٤١ .

(٢) الترغيب والترهيب للإمام الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المغزى جـ٣ صـ٢٦٢ .

روى أن شُريحاً القاضى قابل الشعبى يوماً فَسَأله الشَعبى عن حاله فى بيته فقال له : من عشـرين أناً لم أر ما يغضـبنى من أهلى قال له : وكيف ذلك ؟ قـال شريح : لأن أول ليلة دخلت على امـرأتى رأيت فيـها حـسنًا فاتناً وجـمالاً نادراً قلت فى نفـسى : فلأطَّهَّـر . ولأصلى ركعتين شُكراً لله فلمّـا سلمت وجدت زوجـتي تُصلى بصلاتى ، وتسلم بسلامى ، فلما خـلا البيت من الأصحاب والأصدقاء قمت إليـها فمددت يدى نحوها . . ، فقالت : على رسلك (تمهّل) يا أبا أميـة كما أنت ، ثمّ قالت : «الحمد لله أحمـده وأستـعينه ، وأصلى على مـحمـد وآله ، إنّى امرأة « غريبـة » لا علم لى بأخلاقك ، فبيّن لى ما تحب فآتيه وما تكره فأتركه » ، وقالت : إنّه كان فى قومك من هو كفء من نتزوجه من نسائكم ، وفى قومى من الرجال من لى ، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مـفعولاً ، وقد ملكت فـاصنع ما أمرك الله به ، إمسـاك بمعروف ، أو تسريحٌ بإحسان ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولك . . ! .

قـال شريح : « فـأحوجـتنى ـ والله يا شعـبى ـ إلى الخُطبـة فى ذلـك الموضـع ، فقلـت : الحمـد لله أحمده وأستعينه ، وأُصلى عـلى النّبى وآله وسلم ، وبعد : فإنّك قلت كلاماً إن ثَبَتِّ عليه يكن ذلك حظّك ، وإن تدّعـيه يكن حجةً عليك ، أحب كذا وكـذا ، وأكره كـذا وكذا ، ومـا رأيـت من حسَنةٍ فـانشريهـا ومـا رأيـتِ من سـيئـة فاستريها » .

قالت : فِما محبتك لزيارة أهلى ؟ قلت : ما أحب أن يملّنى أصهارى » ، قالت : فمن تحب من جيرانك ؟ أن يدخل بيتك فآذن له ، ومن تكره فأكره ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء .

قال شُريح : فكنت معها بأنعم ليلة ، وعشت معها حولاً لا أرى معها إلا ما أحبُّ فلمّا كـان رأس الحول (السنة) جئت من مجـلس القضاء ، فإذا بفـلانة فى البيت ، . قلت : من هى ؟ قالـوا : خَتَنُك (أم زوجك) فالتـفتت إلىّ ، وسألـتنى كيف رأيت زوجتك ؟ قلت : خير زوجة .

قالت : يا أبا أمية إنَّ المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها فى حالين :

١ ـ إذا ولدت غلاماً .

٢ ـ أو حظيت عند زوجها .

فوالله ما حاز الرجال فى بيوتهم شراً من المرأة المدلّلة (صاحبة الرأى) ، فأدِّب ما شئت أن تؤدب وهذِّب ما شئت أن تهذِّب فمكثت عشرين عاماً لم أعقِّب عليها فى شىء إلا مرة - وكنت لهَا ظالماً »(١) .

إلى من أراد أن يعصى الله

جاء إلى إبراهيم بن أدهم أحد العصاة فقال :

إنى مسرفٌ على نفسى فاعرض علىّ من مواعظك النافعة ما يكون سبباً فى زجرها عن المعاصى والمخالفات فقال إبراهيم : إن قدرت على خمس خصال فاعص الله فقال الرجل : هات ما عندك يا إبراهيم .

فقال إبراهيم ابن أدهم :

الأولى : إن أردت أن تعصى الله فلا تأكل شيئاً من رزقه فقال الرجل : كيف تقول ذلك يا إبراهيم والأرزاق كلها من عند الله ؟ فقال له : إذا كنت تعلم هذا فهل يليق بك أن تأكل رزقه وتعصيه ؟!! . فقال الوجل : لا يا إبراهيم .. هات الثانية .. فقال :

الثانية : إن أردت أن تعصى الله فلا تسكن بلاده . فقال الرجل : كيف تقول ذلك يا إبراهيم والبلاد كلها ملك الله ؟!!

فقال له : إذا كنت تعلم هذا - فهل يليق بك أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟!! فقال الرجل : لا يا إبراهيم هات الثالثة فقال :

الثالثة : إن أردت أن تعصى الله فانظر مكاناً لا يراك فيه فاعصه فيه فقال الرجل : كيف تقول هذا يا إبراهيم وهو أعلم بالسرائر .. يعلم السِّر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تُخفى الصدور ؟

فقال له : إذا كنت تعلم هذا فهل يليق بك أن تعصيه ؟!!

فقال الرجل : لا يا إبراهيم . هات الرابعة فقال :

الرابعة : إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له : أخرنى إلى أجل معدود .

---

(١) أحكام النساء ١٣٤ ، ١٣٥ ، أحكام القرآن لهانى العربى (١/ ٤١٧) .

فقـال الرجل : كيف تقول هذا يا إبراهيم والله يقـول « فإذا جاء أجلهم لا يستـأخرون ساعة ولا يستقدمون » ؟!! فـقال له : إذا كنت تعلم هذا فكيف ترجو النّجاة ؟!! فقال الرجل : نعم يا إبراهيم هات الخامسة .

الخامسة : إذا جاءك الـزبانية (مـلائكة النار) ليأخـذوك إلى جهنـم فـلا تـذهب معهـم . . وقل لهم : اتركونى فلن أذهب معكم ـ فقال الرجل : كفى يا إبراهيم . . ! أنا أستغفر الله وأتوب إليه ولزم العبادة حتى فارق الدنيا[1] .

إذا فسد الراعى فسدت الرعية

رأى مالك بن دينار رجلاً يسىء صـلاته فقال : ما أرحمنى بعيـاله ! فقيل له : يا أبا يحيى يسىء هذا صلاته ، وترحم عياله . قال : إنّه كبيرهم ومنه يتعلمون .

ستر العيوب

عن أبى على الدّقّاق قال : جاءت امرأة فسألت حاتماً عن مسألة فاتفق أنه خرج منه صوت (ضُراط) فى تلك الحالة ، فخجلت . فقال حاتم : ارفعى صوتك فأوهمها أنه أصم فسُرت المرأة بذلك وقالت : إنّه لم يسمع الصوت فلُقِب بحاتم الأصم)[2] .

حسن الخلق مع داعى النّفور

قال أحمد بن عنبر (لما ماتت أم صالح بن أحمد بن حنبل قال أحمد لامرأة تكون عندهم : « اذهبى إلى فلانة بنت عمها، فاخطبيها لى من نفـسها فأتتها ، فأجابته فلمّا رجعت إليه قال ـ يعنى أحمد عن أُختها كانت تسمع كلامك .

قال: وكانت بعين واحدة . فقـالت له : نعم، قال يعنى الإمام (فاذهبى فاخطبى تيك التى بفرد عين (لها عين واحد) فـأتتها فأجابته وهى أم عبد الله ابنه، فـأقام معها سبعـاً ثمّ قالت له : كيف رأيت يا ابن عمى ؟ أنكرت شيـئاً ؟ قال : لا إلا نعلك هذا تصرُ .

---

(١) الوصايا جـ٣ صـ٣٠٥ المطالعة للصف الثالث الثانوى الأزهرى .

(٢) مدارج السالكين للإمام المحقق ابن القيم (٢/ ٣٤٤) :

وقال خطاب بن بشر : قالت امرأة أحمد بن حنبل لأحمد بعد ما دخلت عليه بأيام « هل تذكر منى شيئاً ؟ فقال : لا إلا هذا النعل الذى تلبسين لم يكن على عهد رسول الله ﷺ »، قال : فباعته واشترت مقطوعاً فكانت تلبسه ، وهى ريحانه بنت عمه، عم الإمام أحمد . طبقات الحنابلة(١) .

كان للخليفة ابن، فطلب ابنة سعيد بن المسيب زوجة لابنه الوليد بن عبد الملك المرشّح للخلافة بعد أبيه، فرفض هذا العالم الكبير فأغراه بالمال الكثير، فما استجاب، وأخيراً هدده فلم يخش منه .

وفى صباح أحد الأيام طرق باب الشيخ عبد الله بن أبى وداعة وكان يجالسه ويلزم دروسه ولكنّه غاب أياماً فدخل فجلس قال له سعيد : أين كنت غائباً ؟ قال عبد الله : توفيت زوجتى فاشتغلت بها .

قال سعيد : هلاّ أخبرتنا فشهدنا جنازتها وفى آخر الكلام أراد عبد الله أن يقوم فقال له سيد التابعين سعيد : هل استحدثت امرأة غيرها ؟

قال عبد الله : يرحمك الله ومن يزوجنى ! ولا أملك إلا درهمين أو ثلاثة !

قال سعيد : أنا . فدهِشَ عبد الله وقال : وتفعل ؟! قال سعيد : نعم .

ثم قال : فادع لى نفراً من الأنصار فلما جاءوا حمد الله وصلى على النبى - ﷺ - وزوجه على ثلاثة دراهم !

(ثلاثة دراهم مهر البنت التى أرسل الأمير يخطبها لولى عهده بثقلها (بوزنها) ذهباً لو شاءت !

وذهب عبد الله إلى بيته وكان صائماً وأفطر خبزاً وزيتاً وإذا بالباب طارق ففتح فوجد سعيداً فدُهِش وقال : لو أرسلت إلىّ لأتيتك .

قال سعيد : لأنت أحق أن تؤتى، إنّك كنت رجلاً عزباً فتزوجت فكرهت أن تبيت هذه الليلة وحدك ! وهذه امرأتك !

وانحرف شيئًا فإذا العروس قائمة خلفه مستترة فدفعها إلى الباب وسلّم وانصرف فدخل الجيران عليه قال عبد الله : ثمّ دخلت بها فإذا هى من أجمل الناس وأحفظهم

---

(١) المناقب لأبى الفرج بن الجوزى (ج٢ صـ١٧) .

لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزّوج، لقد كانت المسألة المعضلة وعجز الفقهاء عنها، فأجدها عندها فأسألها علمها .

المراقبة (أينام الله ؟)

حُكِي أنّ رجلاً تعلق قلبه بامرأة بدوية ذهبت إلى حاجة لها فتبعها فلمّا خلا بها فى البادية (الصحراء) والناس نيام حولها راودها عن نفسها فقالت له : انظر . . أنام الناس جميعاً ؟ ففرح الرجل وظن أنها قد أجابته . فقام وطاف حول مضارب الحى فإذا الناس نيام فرجع إليها وأخبرها . . فقالت له : ما تقول فى الله تعالى أنائم هو فى هذه الساعة ؟؟ فقال الرجل : إن الله لا ينام ولا تأخذه سنَةٌ ولا نومٌ .

فقالت المرأة : إن الذى لم ينم ولا ينام يرانًا وإن كان الناس لا يروننا فذاك أولى أن يُخاف، فتركها وتاب ورُئى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى لخوفى منه .

طفل يحشر فى حواصل طير

قال أبو قدامة أحد قادة المسلمين فى غزواتهم ضد الروم : كنت أميراً فدعوت إلى الجهاد فى سبيل الله فجاءت امرأة بورقة وصرة ففضضت الورقة لأقرأها ولأنظر فيها فإذا فى تلك الورقة :

(بسم الله الرحمن الرحيم، من أمة الله المسلمة إلى أمير جيش المسلمين، سلام الله عليك أما بعد : فإنك قد دعوتنا إلى الجهاد فى سبيل الله ولا قوة لى على الجهاد ولا مقدرة على القتال وهذه الصرة فيها ضفيرتى . فخذها قيداً لفرسك لعل الله يكتب لى شيئاً من ثواب المجاهدين) .

يقول : فشكرت الله على توفيقها وعلمت أن المسلمين يشعرون بواجبهم ويتكتلون ضد أعدائهم ، فلما واجهنا العدو وأبصرت صبياً حدثاً ، ظننت أنه ليس أهلاً للقتال لصغر سنه فزجرته رحمة به فقال : كيف تأمرنى بالرجوع وقد قال الله تعالى ﴿ **انفروا خفافاً وثقالاً** ﴾ قال أبو قدامة : فتركته ثمّ أقبل علىّ وقال : أقرضنى ثلاثة أسهم فقلت له وأنا معجبٌ به وشفق عليه أنا أقرضك ما تريد بشرط أن تشفع لى إن منّ الله عليك بالشهادة ـ وكنت أشعر نحوه بمحبة وتقدير ـ فقال : نعم إن شاء الله فأعطيته الأسهم

الثلاثة ثمّ أقبل على العدو فى قوة وحماس وما زال ينال من أعدائه وينالون منه حتى خرّ صريعاً فى ميدان القتال ، وكانت عينى لا تفارقه طوال المعركة إعجاباً به وإشفاقاً عليه فلمّا خرّ صريعاً أقبلت عليه وسألته : هل تريد طعاماً أو ماء ؟ فقال : لا إنّى أحمد الله على ما صرت إليه ولكن لى إليك حاجة . فقلت له : ليس أحب إلىّ من قضائها يا بنى، فمرنى بما تشاء فقال : وهو يلفظ أنفاسه الطاهرة : أقرىء أمى منّى السلام ، ثمّ ادفع إليها متاعى . فقلت : ومن أمك أيها الشاب . قال : أُمى هى التى أعطتك شعرها ليكون قيداً لفرسك حين عجزت عن أن تقاتل بنفسها فى سبيل الله تحت لوائك : قلت : بارك الله فيكم من أهل بيت، ثمّ فارق الحياة، فقمت نحوه بما يجب فلمّا دفنته لفظته الأرض ، فعاودت دفنه مرة أخرى، فلفظته الأرض أيضاً، فأعمقت له فى الحفر ثم دفنته فلفظته الأرض مرة ثالثة . . فقلت لعله خرج بغير رضاء أمه فصليت ركعتين ودعوت الله أن يكشف لى عن أمر ذلك الغلام فسمعت من يقول لى : يا أبا قدامة دع عنك ولى الله . فتركته وشأنه وعلمت أن له مع الله حالاً . . وبينما نحن كذلك إذا بطير قد أقبل فأكله فتعجبت كثيراً ثم رجعت إلى أمه تنفيذاً لوصيته فلمّا رأتنى أقبلت علىّ وقالت ما وراءك يا أبا قدامة ؟ هل جئتنى معزيًا أو جئتنى مهنئاً ؟ فقلت لها : وما معنى ذلك يا أمة الله . فقالت : إن كان ابنى قد مات فقد جئتنى معزّياً وإذا كان قد قُتِل فى سبيل الله فقد جئتنى مهنئًا فقصصت عليها قصته وأخبرتها عن الطير وما فعلت به ؟ فقالت : لقد استجاب الله دعاءه .

فقلت لها : وما ذاك ؟ فقالت : إنه كان يدعو الله فى صلواته وخلواته ويقول فى صباحه ومسائه (اللهمّ أحشرنى فى حواصل طير خُضر) .

والحمد لله على تحقيق أمله وإجابة دعائه قال : فانصرفت عنها وقد علمت لماذا كتب الله لنا النصر والتأييد على الأعداء ؟

ادفع بالتى هى أحسن

يُحكى أنّ رجلاً من أهل الشام دخل المدينة المنورة فرأى شاباً حسن الهيئة جميل المنظر نظيف الملابس ، راكباً دابة قوية نشيطة . . فسأل، فقيل له : هذا الحسن بن على ابن أبى طالب، فامتلأ قلبه حسداً له وحقدًا عليه وتقدم إليه وقال له : أأنت ابن أبى طالب ؟ فقال الحسن : أنا ابن ابنه .

فقال الرجل : لقد قلت فيك وفى أبيك كلاماً قبيحاً أستأت لكما به . وذكر له ذلك الكلام . .

فقال الحسن : أظنّك غريباً . . فقال الرجل نعم .

فقال الحسن : إذا احتجت إلى منزل أسكنتك أو إلى مال أعطيتك أو إلى حاجة ساعدتك .

فعجب الرجل من حِلْم الحسن وانصرف وهو يقول : ليس على وجه الأرض أحب إلىّ من هذا الشاب . . أسأت إليه فأحسن إلىّ .

امرأة متوكلة

وروى أن قوماً من الأعراب زرعوا زرعاً فأصابته جائحة فحزنوا لأجله ، فخرجت عليهم أعرابية فقالت : ما لى أراكم قد نكستم رءوسكم وضاقت صدوركم ، وهو ربنا والعالم بنا ، رزقنا عليه، يأتينا به من حيث شاء، ثم أنشأت تقول :

لو كان فى صخرة فى البحر راسية

صماً ململمة مَلْسًا نواحيها . . رزقاً لنفس براها الله لانعلقت

حفظ الفرج

عن سليمان بن يسار أنه خرج من المدينة حاجاً ومعه رفيق له ، حتى نزلا بالأبواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق إلى السوق ليبتاع شيئاً ، وجلس سليمان فى الخيمة وكان من أجمل الناس وجهاً وأودعهم ، فبصرت به أعرابية من قمة الجبل فانحدرت إليه حتى وقفت بين يديه ، وعليها البرقع والقفازان فكشفت عن وجه لها كأنه فلقة قمر وقالت : أهنئنى، فظن أنها تريد طعاماً، فقام إلى فضلة السفرة ليعطيها فقالت : لست أريد هذا، إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله فقال : جهزّك إلىَّ إبليس ، ثم وضع رأسه بين ركبتيه ،وأخذ فى النحيب فلم يزل يبكى فلمّا رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة، حتى بلغت أهلها فجاء رفيقه فوجده ، يبكى فسأله فأخبره، فجلس رفيقه يبكى بكاءاً شديداً، فقال سليمان :

وأنت ما يبكيك ؟ فقال : أنا أحق بالبكاء منك لأنى أخشى أن لو كنت مكانك ما صبرت .

فلمّا انتهى سليمان إلى مكة سعى وطاف ثم أتى الحجر فاحتبى بثوبه فأخذته عيناه فنام وإذا برجل وسيم له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان : رحمك الله من أنت ؟ قال : « أنا يوسف قال : يوسف الصديق ؟ قال : نعم قال إنّ فى شأنك وشأن امرأة العزيز لعجباً ، فقال له يوسف إن شأنك وشأن صاحبة الأبواء لأعجب .

تكريم العلماء

جاء سهل بن عبد الله التسترى إلى أبى داود المحدِّث فقيل له :

يا أبا داود : هذا سهل بن عبد الله، قد أتاك زائراً فرحَّب به وأجله ، فقال سهل : يا أبا داود لى إليك حاجة قال : وما هى ؟ قال : حتى تقول قضيتها مع الإمكان .

قال : قد قضيتها مع الإمكان .

قال : أخرج لسانك الذى حدَّثت به عن رسول الله ﷺ حتى أُقبّلَه .

قال : فاخرج لسانه فقبّله .

والجاذبية سوف يفسد أمرها	وتسىء عقباكا إلى عقباكا
ولسوف تعلم أنّ فى هذا قيام	الساعة الكبرى هنا وهناكا
أنا لا أثبِّط من جهود العلم	أو أنا فى طريقك أغرس الأشواكا
لكننى لك ناصح فالعلم	إن أخطأت فى تسخيره أفناكا
سخّر نشاط العلم فى حقل الرخاء	تصغ من الذهب النضار تُراكا
سخّره يملأ بالسلام والتعاون	عَالماً متناحراً سفاكاً
وادفع به شر الحياة وسوئها	وامسح بنعمى نوره بؤساكا
العلم إحياء وإنشاء وليس	العلم تدميراً ولا إهلاكاً
فإذا أردت العلم متحرفاً فما	أشقى الحياة به وما أشقاكا !

جزاء الصدقة

روى ابن الجوزى بسنده إلى سلام بن مسكين قال حدثنا : ثابت :

أن امرأة كانت تأكل طعاماً فأتاها سائل يسأل ، ولم يبق من طعامها غير لقمة فلمّا رفعتها إلى فيها (فمها)، فأدخلت بعضها فاها (فمها) ،جاءها السائل ،فأخرجت اللقمة من فيها فأطعمتها السائل ، فأتاها الأسد، فأخذ صبياً لها ،فذهب به ، فإذا هى

برجل قد أقبل إلى الأسد فأخذ بلحييه (فكيه) فعلقهما حتى استخرج الصبى من فيه (فمه) فسلَّمه إلى أمه فقال : ها لقمة بلقمة .

دعاء الأم

إنّ ابنى قد أسره الروم ولا أقدر على مال أكثر من دويرة ولا أقدر على بيعها ، فلو أشرت إلى من يفديه بشيء، فليس له ليلٌ ولا نهار ولا نوم ولا قرار ، فأطرق الشيخ ، ثم رفع رأسه إلى السماء ، وحرّك شفتيه فلبثنا مدة، فجاءت المرأة ومعها ابنها وأخذت تدعو له ، وقالت : حديث يحدثك به ، فقال الشاب : كنت فى يدى بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى (الأسرى) ، وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم ، فخرج إلى الصحراء لنخدمه، ثمّ يردّنا وعلينا قيودُنا ، فبينما نحن نجيء من العمل بعد المغرب، انفتح القيد من رجلى ووقع على الأرض ، ووصف اليوم والساعة ، فوافق الوقت الذى جاءت فيه المرأة ودعى فيه الشيخ ، قال : فنهض الذى كان يحفظنى، فصاح علىّ وقال : كسرت القيد ؟ قلت : لا إنه سقط من رجلى ؟ قال فتخبّروا خبر صاحبه ، وأحضر الحداد وقيدونى فلما مشيت خطوات سقط القيد من رجلى ، فتحيروا فى أمرى فدعوا رهبانهم فقالوا لى : ألك والدة ؟ قلت : نعم . قالوا قد وافق دعاؤها الإجابة ، وقالوا أطلقك الله فلا يمكننا نقيدك ، فردونى وأصحبونى إلى ناحية المسلمين.

وحدث الجاحظ أن المعتصم غضب على رجل من أهل الجزيرة الفراتية ، وأحضر السيف والنطع ، وقال له المعتصم . صنعت كيت وكيت ، وأمر بضرب عنقه ، فقال له أحمد بن أبى دؤاد الإيادى القاضى : يا أمير المؤمنين سبق السيفَ العذل ، فتأن فى أمره فإنه مظلوم ، قال : فتسكن قليلاً .

قال ابن دؤاد : وغمرنى البول فلم أقدر على حبسه ، وعلمت أنى لو قمت قبل الرجل فجعلت ثيابى تحتى وبلت فيها حتى خلصت الرجل ، قال : فلما قمت نظر المعتصم إلى ثيابى رطبةً .

فقال : يا أبا عبد الله كان تحتك ماء ؟؟ فقلت : لا يا أمير المؤمنين ، ولكنه كان كذا وكذا ، فضحك المعتصم ودعا لى ؟ وقال : أحسنت بارك الله عليك ، وخلع عليه وأمر له بمائة ألف درهم .

وابن أبى دؤاد هذا هو الذى يقول فيه الكلبى : ابن أبى دؤاد روح كله من قرنه إلى قدمه .

فضل حفظ الأحاديث

قال أبو العباس المرادى :

رأيت أبا زرعة (عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازى) فى المنام .

فقلت : يا أبا زرعة ما فعل الله بك ؟ فقال : لقيت ربى عز وجل .

فقال لى : يا أبا زرعة إنّى آتى بالطفل فآمر به إلى الجنة فكيف بمن حفظ السنن على عبادى ؟

تبوأ من الجنة حيث شئت(١) .

ستر النساء

قال أحمد بن مهدى : « جاءتنى امرأة ببغداد ليلة من الليالى فذكرت أنها من بنات الناس ، وأنها امتُحِنَت بمحنة «وأسألك بالله أن تسترنى» .

فقلتُ : وما محنتك ؟

فقالت : أُكرِهت على نفسى . وأنا حبلى ، وذكرت للناس أنّك زوجى وأنّ ما بى من الحَبَل منك ، فلا تفضحنى . استرنى سترك الله ، فمسكت عنها ومضت . فلم أشعر حتى وَضَعت .

وجاء إمام المحلَّة فى جماعة الجيران يهنئونى بالولد فأظهرت لهم التهلل ووزنت فى اليوم الثانى دينارين ودفعتهما إلى الإمام فقلت : أبلغ هذا إلى تلك المرأة لتنفقه على المزلود فإنّه سَبَق ما فَرَّق بينى وبينها .

فكنت أرفع كل شهر دينارين وأوصلها إليها بيد الإمام وأقول :

هذه نفقة المولود إلى أن أتى على ذلك سنتان ثُمّ توُفِّى المولود ، فجاءنى النّاس يعزُّونى .

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٩١ ، ٩٢) نعم لقد سُئِل أبو زرعة عن رجل حلف بالطلاق أنّ أبا زرعة يحفظ مائتى ألف حديث هل حنث ؟ فقال : لا ثم قال : أحفظ مائتى ألف حديث كما يحفظ الإنسان ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وفى المذاكرة ثلاثمائة ألف .

هكذا فليكن الشباب

رأى بعض السلف فى بعض الجبـال شاباً أصـفـر اللون غائر الـعينين ، مـرتعش الأعضاء لا يستقر على الأرض كأن به وخز الأسنة[1] ، ودموعه تتحادر فقلت له : من أنت ؟

فقال : آبق[2] من مولاه .

قلت : فتعود وتعتذر فقال : العُذر يحتـاج إلى إقامة حُجة فكيف يعتذر المُقصرّ ؟ فقلت : تتعلق بمن يشفع فيك فقال : كل الشفعاء يخافون منه ؟

قلت : فمن هو ؟

قال : مـولاى ربّانى صغـيراً فعـصيـته كبـيراً ، شـرط لى فوفّانـى ، وضمن لى فأعطـانى ، وخُـنته فى ضمـانى ، وعصيـته وهو يرانى ، فواحـيائى من حُـسن صنعه وقـبيح فـعلى فقلـت : أين هذا المولى ؟ فقـال : أين توجّـهت لقيت أعـوانه ، وأين استـقرت قدمك فـفى داره فقلت : ارفق بنفسك فـربما أحرقك هذا الخوف ، فـقال : الحريق بنار خوفه ـ لعله يرضى ـ أحق وأولى ثم أنشأ يقول :

لم يبق خـوفك لى دمـعـاً ولا جَلَدَاً ... لا شك أنّى بهـذا مـيّت كـمـداً
عـبـدٌ كـئـيب أنى بالعـجز مـعـترفـاً ... وتارة تُـحـرق الأحـشـاء والكبـدا
ضـاقت مـسـاكنه فـى الأرض من وجل ... فـهب له منك لُطفـاً إن لـقـيك غـداً

فقلت : يا غلام ، الأمر أسهل ممّا تظن .

فقـال : هذا من فتنة (المضلين) البطّالين، هبْـه تجاوز وعفـا، أين آثار الإخلاص والصفاء؟ ثم صاح صيحة ، فخرجت عـجوز من كهف الجبل عليها ثياب رثّة فقالت : من أعان على البائس الحيران ؟ فقلت : يا أمة الله دعوته إلى الرجاء بم فـقالت : قد دعوته إلى ذلك فقال : الرجاء بلا أصفاء شرك .

قلت : من أنتِ منه ؟ قالت : والدته فقلت : أقيم عندك أعينك عليه ؟ فقالت : خلّه ذليـلاً بين يدى قاتله عـساه يراه بعين مـعين فيرحـمه ، فلم أدر مما ذا أعـجب من صدق الغلام فى خوفه أو من صدق العجوز[3] .

---

(١) أسنة السيوف .   (٢) عاص .

(٣) صفة الصفوة (٤ / ٣٦٧ ـ ٣٦٨) .

عقاب تأخير الصلاة والنميمة

قال عمرو بن دينار : كان رجل ، من أهل المدينة له أخت في باحة المدينة ، فهلكت، وأتى السوق، يُجهزها ولقيه رجل، معه كيس فيه دنانير ، فجعلته في حجرته ، فلمّا دفنها ورجع إلى منزله ذكر الكيس في القبر فاستعان برجل من أصحابه ، فنبشا فوجد الكيس ، فقال الرجل لصاحبه : تنح حتى أرفع ما على اللحد وإذا القبر يشتعل ناراً ، فردّه ودعا الرجل فسّوى معه القبر ، ثُمّ رجع إلى أمه فقال : اخبريني ما حال أختي ؟ قالت : وما تسأل عنها ؟! السِّر قد مات . قال : أخبريني . قالت : كانت أختك تؤخر الصلاة عن وقتها وتأتي أبواب الجيران إذ ناموا فتلقم أذنها أبوابهم فتخرج حديثهم(١) .

الدنيا

والناس كالحب والدينار في نصب ... للعالمين وكف الموت يلهيها
فلا الإقامة تنجي النفس من تلف ... ولا القرآن من الأجداث ينجيها
وللنفوس وإن كانت على وجل ... من المنايا آمال تقويها
فالمرء يبسطها والدهر يقبضها ... والبشر ينشرها والموت يطويها
وكل نفس لها زور يصحبها ... من المنية يوماً أو يعشيها
تلك المنازل في الآفاق خاوية ... أضحت خراباً وذاق الموت بانيها
كم من عزيز سيلقى بعد عزته ... ذلاً وضاحكة يوماً سيبكيها
وللمنايا تُربِّي كلَّ مرضعة وللحساب ... يرى الأزواج باريها

---

(١) كتاب الورع للحافظ أبي بكر عبد الله بن عبيد بن أبي الدنيا (٢٠٨ ـ ٢٨١) هـ ط : الدار السلفية . تحقيق : أبي عبد الله محيي بن أحمد الحمود .

بر الأم
خنساء بنت عمرو النخعية
جهاد الأطفال

عن عبد الرحمن بن مغـراء الدوسى ، عن رجل من خزاعة قال : لمّا أجمع الناس بالقادسية، دعت خنساء بنت عمرو النخعية بنيها الأربعة فقالت: ! يا بنى إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم والله ما بنيت بكم الـدار ولا أوحمتكم السنة ،ولا أرواكم الطمع ، والله الذى لا إله إلا هو ؟ إنكم لبنو رجل واحد كمـا أنكم بنو امرأة واحدة ؟ ما خنت أباكم ولا فـضحت حـالكم ، ولا غـيرت نسـبكم ولا أوطأت حـريمكم ، ولا أبحت حماكم، فإذا كان غداً إن شاء الله، فاغدوا لقتـال عدوكم مستنصرين الله ، مستبصرين ، فإذا رأيتم الحرب، قد أبـدت ساقها وقد ضربت رواقهـا، فتيمموا وطيـسها وجالدوا حميها ، تظفروا بالمغنم والسلامـة ، والفوز والكرامة، فى دار الخلد والمقامة . فانصرف الفتيـة من عندها وهم لأمرها طائعون وبنصحـها عارفون، فلما لقـوا العدو شد أولهم وهو يقول :

يا إخـوتا إن العـجـوز الناصـحـة ... قـد أشـربتنا إذا دعـتنا البـارحـة
نصـيـحـة ذات بيـان واضـحـة ... فـبـا كـروا الحـرب الضـروس الكالحـة
فـإنما تلقـون عند الصـائحـة ... من آل سـاسـان كـلاباً نـابحـة
قـد أيقنوا منكم بوقع الجـائحـة ... فـأنتم بين حـيـاة صـالحـة
أو مـيـتـة تورث غنمـاً رابحـة

ثم نشد الذى يليه وهو يقول :

والله لا نعـصى العـجـوز حـرفـاً ... قـد أمـرتنا حـدباً وعطفـاً
منهـا بـراً صـادقـاً ولطـفـا ... فـبـاكـروا الحـرب الضـروس زحـفـاً
حـتى تكفـوا آل كـسـرى كـفـا ... وتكشـفـوهم عن حـمـائم كـشـفـاً
إنا نرى التـقـصـيـر عنهم ضـعـفـاً ... والقـتل فـيـهم نجـدة وعـرفـاً

لست لخنساء ولا للأخزم ولا لعمرو ذى السناء الأقدم
إن لم تزر فى آل جمع الأعجم جمع أبى ساسان جمع رستم
بكل محمود اللعشاء ضيغم ماض على الهول خضم خضرم
إما التهر عاجل أومعتم أو لحياة فى السبيل الأكرم
نفوز فيها بالنصيب الأعظم

ثم نشد الذى يليه وهو يقول :

إنَّ العجوز ذات حزم وجَلَد والنظر الأوفق والرأى السدد
قد أمرتنا بالصواب والرشد نصيحة منها وبِراً بالولد
فباكروا الحرب نماء فى العدو إما لقهر واحتياز للبلد
أو ميتةً تورث خُلْداً للأبد فى جنة الفردوس فى عيش رغد

فقاتلوا جميعاً، حتى فتح الله عز وجل للمسلمين ، وكانوا يغطون ألفين، فيجيئون بها فيصبّونها فى حجرها فتقسم ذلك بينهم حفنة حفنة ، فما يغادر واحد من عطائه درهما .

أداء الحق مع رعاية الأدب

جرى بين الرشيد وبين زبيدة كلام فقال هارون :

أنت طالق، إن لم أكن من أهل الجنة، ثمّ ندم، فجمع الفقهاء، فاختلفوا ، فكتب إلي البلدان، فاستحضر علماءها إليه ، فلمّا اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا وبقى شيخ لم يتكلم وكان فى آخر المجلس ـ وهو الليث بن سعد قال فسأله ، قال : إذا أخلى أمير المؤمنين مجلسه كلّمته ، فصرفهم فقال : يدنينى أمير المؤمنين ، فأدناه ، قال أتكلم على الأمان ؟ قال : نعم فأمر بإحضار مُصحف فأحضر ، فقال : تَصفَّحه يا أمير المؤمنين حتى تصل إلى سورة الرحمن فاقرأها فـفعل فلما انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ قال : أمسك يا أمير المؤمنين .

قال : والله، فاشتد ذلك على هارون .

فقال يا أمير المؤمنين . الشرط أملك.

فقال : والله، حتى فرغ من اليمين .

قال : قل : إنى أخاف مقام ربى فقال ذلك .

فقال : يا أمير المؤمنين . فهى جنتان وليست بجنة واحدة قال : فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر فقال له الرشيد :

أحسنت وأمر له بالجوائز والخلع وأمر له بإقطاع الجيزة ولا يتصرف أحد بمصر إلا بأمره وصرفه مُكرَّماً[1] .

صراحة عالم

نظر الإمام الأعظم أبو حنيفة لإمام المسلمين عبد الله بن المبارك وسأله أن يحدِّثه عن بدء أموره (التزامه بالدين) .

فقال : كنت جالساً مع إخوانى فى البستان فأكلنا وشربنا إلى الليل وكنت مولعاً بضرب العود والطنبور ، ونمت سحراً[2] (قبل الفجر فرأيت فى منامى طائراً فوق رأسى على شجرة يقول :

﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ﴾ .

قلت : بلى . فانتبهت وكسرت عودى وحرقت ما كان عندى فكان هذا أول زهدى[3] .

لئلا يُقال لأى شىء عزل القاضى نفسه ؟

وتطير الأخبار إلى بغداد ويشع أمر عجيبة ونهض إلى القاضى وترضاه .

وعاد إلى القضاء[4] .

---

(١) من أخلاق العلماء صـ١٠٩ .

(٢) السحر : السدس الأخير من الليل .

(٣) من أخلاق العلماء .

(٤) من أخلاق العلماء صـ٩٤ ط : الشعب .

التاجر الصادق

جاءت أبا حنيفة امرأةٌ تطلب منه ثوب خز « حرير » فأخرجه لها :

فقالت له : إنى امرأة ضعيفـة ، وإنها أمانة، فبعنى هذا الثوب، بما يقوم عليك ، فقـال : خذيه بأربعة دراهم .

فقالت : لا تسخر بى وأنا عجوز كبيرة .

فقال : إنى اشتريت ثوبين، فبعت أحدهما برأس المال، إلا أربعة دراهم .

فبقى هذا الثوب علىّ بأربعة[1] .

مَن أراد الله عِزهُ فلا يُذل

جاءت امرأة إلى المأمون فى مجلسه ليرفع الـعقاب عن ابنها وكان المأمون قد تناسى أمره فلمّا خبرته تذكر فأمر بشنقه وكتب إلى عامله على السجن . . فلان بن فلان يشنق الآن، فوصلت الرسالة إلى عامله (فلان بن فلان يُطلق الآن) .

فأطلقه فرآه المأمون بعد فتـرة مطلوقاً فكتب إلى عامله (يشنق) فحوّلها القلـم إلى (يطلق) وهو لا يدرى ـ بأمر الله . فأطلقه .

ثمّ حدث هذا مرة ثالثة فكتب المأمون إلى عامله (فلان بن فلان يطلق ثم يطلق ثم يطلق رِغم أنفـى ورغم أنف أبى ومن أراد له الله أن يطلق فـلا يُشنق ولو اجـتـمـعت السماوات والأرض على أن يشنق) .

---

(١) من أخلاق العلماء صـ٢٢٩، نقلاً عن تاريخ بغداد صـ٢٦٠ جـ١٣ .

الفصل الثانى

قصة سارة والملك الكافر

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال النبى ﷺ : « هاجر إبراهيم ـ عليه السلام ـ بسارة ، فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك ، أو جبّار من الجبابرة ، فقيل : دخل إبراهيم بامرأة هى من أحسن النساء ، فأرسل إليه أن يا إبراهيم ! مَن هذه التى معك ؟ قال : أختى ثمّ رجع إليها ، فقال : لا تُكَذِّبى حديثى ، فإنى أخبرتهم أنك أختى ، والله إن على الأرض من مؤمن غيرى وغيرك .

فأرسل بها إليه ، فقام إليها ، فقامت توضّأ وتُصلّى ، قالت : اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك ، وأحصنت فرجى إلا على زوجى ، فلا تُسلِّط علىّ الكافر ، فَغُط حتى ركض برجله (قال الأعرج : قال أبو سلمة بن عبد الرحمن، إن أبا هريرة قال: قالت : اللهم إن يمت يُقال هى قتلته ، فأُرسِل ثمّ قام إليها ، فقامت توضأ وتصلّى ، وتقول : اللهم إنى كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على زوجى ، فلا تُسلِّط علىّ هذا الكافر ، فغُطْ حتى ركض برجله .

قال عبد الرحمن : قال أبو سلمة . قال أبو هريرة . . فقالت : اللهم إن يَمت فيُقال هى قتلته ، فأُرْسِل فى الثانية ، أو فى الثالثة فقال : والله ما أرسلتم إلىّ إلا شيطاناً ، ارجعوها إلى إبراهيم ، وأعطوها آجر[1] ، فرجعت إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ فقالت : أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة ؟

وروى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ « لم يكذب إبراهيم النبى عليه السلام ـ قط إلا ثلاث كذبات : ثنتين فى ذات الله قوله :« **إنى سقيم** » وقوله :« **بل فعله كبيرهم هذا** ». وواحد فى شأن سارة ، فإنه قدم أرض جبّار ومعه سارة وكانت أحسن الناس ، فقال لها :

(١) وفي بعض الروايات «هاجر» ووقعت هنا بلفظ «أجر».

وليس بها ماء فوضعها هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسِقاءً فيه ماء . ثم قفى إبراهيم مُنطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم ! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه إنس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مراراً : وجعل لا يلتفت إليها فقالت له : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يضيعنا . ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه ، استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال : ﴿ **ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع** ﴾ حتى بلغ ﴿ **يشكرون** ﴾ .

وجعلت أم إسماعيل تُرضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما فى السِقاء . عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى ـ أو قال يتلبط ـ فانطلقت كراهية أن تنظر إليه . فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها . فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً . فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي . رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها . فنظرت هل ترى أحداً . فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات » .

قال ابن عباس : قال النبى ﷺ « فذلك سعى الناس بينهما . فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صهٍ ـ تريد نفسها ثم تسمعت أيضاً فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فإذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه ـ أو قال بجناحه ـ حتى ظهر الماء فجعلت تحوضة وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف » .

قال ابن عباس : قال النبى ﷺ « يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ـ أو قال : لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً » .

قال : « فشربت وأرضعت ولدها . فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة فإن ها هنا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعاً من الأرض ، كالرابية ـ تأتيه السيول ، فتأخذ عن يمينه وشماله . فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم . مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل

مكة . فرأوا طائراً عائفاً ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي ما فيه ماء فأرسلوا جَرِيًّا أو جَرِيَّيْن[1] . فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا. قال: وأم إسماعيل عند الماء ـ فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت : نعم ولكن لا حق لكم فى الماء، قالوا : نعم .

قال ابن عباس : قال النبى ﷺ : فألفى ذلك أم إسماعيل وهى تحب الإنس فنزلوا ، وأرسلوا إلى أهليهم . فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام ،وتعلم العربية منهم، وأنفسهم، وأعجبهم حين شب، فلما أدرك الحُلُم زوجوه امرأة منهم .

وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغى لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم . فقالت : نحن بِشَرٍّ ، نحن فى ضيق وشدة فشكت إليه . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام . وقولى له يُغير عتبة بابه فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً . فقال هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك . فأخبرته وسألنى كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنَّا فى جهد وشدة . قال : فهل أوصاك بشىء ؟ قالت: نعم أمرنى أن أقرأ عليك السلام . ويقول: غير عتبة بابك . قال ذاك أبى . وقد أمرنى أن أفارقك الحقى بأهلك . فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد : فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه . فقالت : خرج يبتغى لنا . قال كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ؟ فقالت : نحن بخير وسعة . وأثنت على الله فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم . قال فما شرابكم ؟ قالت : الماء قال : اللهم بارك لهم فى اللحم والماء قال النبى ﷺ « ولم يكن لهم يومئذ حَبٌّ ولو كان لهم . دعا لهم فيه ، قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه .

قال : فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام . ومريه يثبت عتبة بابه . فلما جاء إسماعيل . قال هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم . أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه . فسألنى عنك ؟ فأخبرته فسألنى كيف عيشنا ؟ فأخبرته، أنَّا بخير قال فأوصاك

(١) جَرِيًّا: أى : رسولاً ، وسُمِّى بذل؛ لأنه يجرى مجري مُرْسِلِه أو موكله أولأنه يجري مسرعاً في حوائجه.

إنّ هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك ، فإن سألك فأخبريه أنك أختى ، فإنك أُختى فى الإسلام ، فإنى لا أعلم فى الأرض مسلماً غيرى وغيرك .

فلمّا دخل أرضه ، رآها بعض أهل الجبَّار ، أتاه فقال له : لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغى لها أن تكون إلا لك فأَرْسَل إليها ، فأتى بها ، فقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى الصلاة . فلمّا دخلت عليه ؛ لم يتمالك أن بسط يده إليها ، فقُبضت يده قبضة شديدة ، فقال لها : ادعى الله أن يُطلِق يدى ولا أرك ، ففعلت فعاد ، فقُبضت أشد من القبضة الأولى ، فقال لها مثل ذلك ، ففعلت ، فعاد ، فقُبضت أشد من القبضتين الأولتين ، فقال : دعى الله أن يُطلق يدى فلَكِ الله أن لا أضرك ، ففعلت ، وأطلقت يده ودعا الذى جاء بها ، فقال له ، إنما أتيتنى بشيطان ولم تأتنى بإنسان ، فأخرجها من أرضى ، وأعطها هاجر فأقبلت تمشى ، فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف وقال لها : لها مَهْيَمْ ؟ قالت : خيراً ، كفَ الله يد الفاجر ، وأخدم خادماً » قال أبو هريرة : فتلك أمكم يا بنى ماء السماء »[(١)] .

المعانى :

لا تكذِّبى حديثى : أى لا تغيِّرى حديثى فيظهر الاختلاف .

فغط حتى ركض برجله : اختنق حتى صار كأنه مصروع والركض : تحريك الرجل .

إن كنت آمنت : ذكرت ذلك على سبيل العرض هضماً لنفسها .

أُرْسِل : تُرِك .

---

(١) البخارى فى البيوع (٢١٧ ، باب : شراء المملوك من الحربى وهبته وعتقه وفى الهبة (٢٦٣٥) ، وفى الإكراه (٦٩٥٠) وفى الأنبياء (٣٣٥٨) قول الله تعالى ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ وفى النكاح (٥٠٨٤) وفى الأنبياء (٣٣٥٨١) ، ومسلم (٢٣٧١) فى الفضائل باب من فضائل إبراهيم ﷺ وأحمد (٢/ ٤٠٣ ، ٤٠٤) ، والترمذى (٣١٦٦) فى التفسير (سورة الأنبياء) أبو داود (٢٢١٢) فى الطلاق باب : فى الرجل يقول لامرأته يا أختى) ، وأبو يعلى فى المسند (١٠ / ٤٢٦ ـ ٤٢٨) (٦٠٣٩) والنسائى فى فضائل الصحابة (٢٦٥) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٢٨٢ / ٢ وابن نصر فى تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩) (٢١٠) ، وأبو عبيد فى المواعظ والخطب (٢٢) ، وابن طهمان فى مشيخته (رقم ٢٥) .

أخدم وليدة : وهبها خادمة .

فلك الله : أى : شاهد وضامن ـ مَـهْيَمْ ؟ أى ما خبـرك ؟ وما شأنك . يا بنى ، ماء السماء : أى العرب وقيلت : الأنصار .

الفوائد من القصة :

١ ـ استحباب اللجوء إلى المعاريض (التورية) عند الضرورة ففيها منادح من الكذب.

٢ ـ أنّ الله تعالى يصرف كيد الكفرة عن أنبيائه بما شاء .

٣ ـ العرب المستعربة (العدنانيون ومنهم النبى ﷺ يرجعون إلى إسماعيل وهو ابن هاجر).

٤ ـ الرخصة فى الانقياد للظالم والغاصب .

٥ ـ إجابة الدعاء بإخلاص النية .

٦ ـ كفاية الرب لمن أخلص فى الدعاء بعمله الصالح .

٧ ـ ابتلاء الصالحين لرفع درجاتهم .

٨ ـ أنّ مَن نابه أمر من الكرب ينبغى له أن يفزع إلى الصلاة .

٩ ـ أن الوضوء كان مشروعاً للأمم قبلنا .

١٠ ـ مشروعية أخوة الإسلام .

١١ ـ التوسل إلى الله بعمل المسلم الصالح .

١٢ ـ استحباب الصلاة عند نزول الشدائد للتخلص منها .

قصة هاجر واسماعيل
ـ عليهما السلام ـ

قال ابن عباس : « أول ما اتخذ النساء المِنْطق من قِبَل أم إسماعيل اتخذت منطقاً لتُعفى أثرها على سارة لما جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل ـ وهى ترضعه ـ حتى وضعها عند البيت عند دَوْحة فوق زمزم فى أعلى المسجد . وليس بمكة يومئذ أحد

بشيء ؟ قالت : نعم . هو يقرأ عليك السلام . ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال ذاك أبى وأنت العتبة أمرنى أن أمسكك . ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك ، وإسماعيل يبرى نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد . ثم قال : يا إسماعيل إن الله أمرنى بأمر قال : فاصنع ما أمرك ربك . قال وتعيننى ؟ قال : وأعينك . قال : فإن الله أمرنى أن أبنى ها هنا بيتاً ـ وأشار إلى أكمة مرتفعة علىٰ ما حولها » قال : « فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة وإبراهيم يبنى حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : ﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾[1] .

وفى رواية عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما قال : « لمّا كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان وخرج إسماعيل ومعهم شُنَّة فيها ماء ، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنّة فَتدرُّ لبنها على صبيها حتى قدم مكة ، فوضعها تحت دوحة ثم رجع إبراهيم إلى أهله فأتبعته أم إسماعيل ؟ حتى لما بلغوا كداء ، نادته من ورائه : يا إبراهيم ! إلى من تتركنا ؟ قال : إلى الله قالت : رضيت بالله » .

قال : فرجعت ، فجعلت تشرب من الشنة ويدر لبنها على صبيها حتى لَّما فنى الماء؟ قالت : لو ذهبت فنظرت لعلى أحس أحداً » .

قال : « فذهبت ، فصعدت الصفا فنظرت ونظرت ، هل تحس أحداً ؟ فلم تحس أحداً ، فلما بلغت الوادى ، سعت وأتت المروة ؟ ففعلت ذلك أشواطاً . ثم قالت : لو ذهبت فنظرت ما فعل . . تعنى الصبى فذهبت فنظرت ، فإذا هو على حاله كأنه ينشع للموت ، فلم تقرها نفسها فقالت : لو ذهبت فنظرت لعلّى أحسُّ أحداً فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحداً ، حتى أتمت سبعاً ، ثم قالت : لو ذهبت فنظرت ما فعل ،فإذا هى بصوت ، فقالت : أغث إن كان عندك خير ، فإذا جبريلُ » .

قال : « فقال بعقبه هكذا وغمز عقبة على الأرض » .

---

(١) أخرجه البخارى فى الأنبياء (٣٣٦٢) ، باب : يزفون : النسلان فى المشى وأحمد (١/ ٣٦٠) وابنه فى زوائد المسند (٥/ ١٢١) والنسائى فى فضائل الصحابة (٢٧١ ، ٢٧٢) وابن حبان فى الصحيح (٦/ ١٠ ـ ١١) (٣٧٠٥) .

قال : « فانبثق الماء ، فدهشت أم إسماعيل ، فجعلت تحفزُ » .

قال : فقال أبو القاسم : « لو تركته كان الماء ظاهراً » .

قال : « فجعلت تشرب من الماء ، ويدر لبنها على صبيها » .

قال : « فمر ناس من جرهم ببطن الوادى ، فإذا هم بطير إذ أنهم أنكروا ذاك ، وقالوا : ما يكون الطير إلا على ماء فبعثوا رسولهم ، فنظر فأتاهم بالماء ، فأتاهم ، فأخبرهم فأتوا إليها ، فقالوا : يا أم إسماعيل ! أتأذنين لنا أن نكون معك ، أو نسكن معك ؟

فبلغ ابنها ، فنكح منهم امرأة » .

قال : « ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله : إنى مطلع تركتى » .

قال : « فجاء فسلَّم . فقال : أين إسماعيل ؟ فقالت امرأته : ذهب يصيد .

فقالت : ألا تنزل فتطعم وتشرب ؟ فقال : وما طعامكم ؟ وما شرابكم ؟ قالت : طعامنا اللحم ، وشرابنا الماء .

قال : اللهم بارك لهم فى طعامهم وشرابهم .

قال : فقال أبو القاسم ﷺ « بركة بدعوة إبراهيم » .

قال : « ثم إنه بدا لإبرهيم ، فقال لأهله : إنى مطلع تركتى ، فجاء ، فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلاً له ، فقال : يا إسماعيل ! إن ربك أمرنى أن أبنى له بيْتاً .

قال : أطع ربك . قال : إنه أمرنى أن تعيننى عليه .

قال : ما الذى أفعل » أو كما قال .

قال : « فقاما ، فجعل إبراهيم يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان : ﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾(1) .

المعانى :

---

(1) البخارى (٣٣٦٥) فى الأنبياء باب يزفُّون ، النسلان فى المشى ، مختصراً معلقاً ، ووصله أبو نعيم فى المستخرج وعمر بن شبّه فى كتاب مكة (الفتح ٦ / ٤٠٠) وأخرجه الأزرقى فى تاريخ مكة ١/ ٥٧ ، ٢ / ٣٩) والفاكهى كما فى الفتح (٦ / ٤٠٠) . وأخرجه النسائى فى فضائل الصحابة (٢٧٤).

(أ) فى الرواية الأولى :

ـ المِنطق : هو ما تشد به المرأة وسطها عند عمل الأشغال لترفع ثوبها ، وهو أيضاً: النِّطَاق .

ـ دَوْحة : هى الشجرة العظيمة ، وجمعها : الدَّوح .

ـ قفى الرجل : إذا ولاك قفاه راجعاً عنك .

سِقاء : بكسر أوله هو قربة صغيرة .

الثَّنِيَّة : الطريق فى العقبة ، وقيل هو المرتفع من الأرض فيها .

التلبُّط : الاضطراب والتقلب ظهراً لبطن .

ـ صه : اسكت .

ـ تريد نفسها : لما سمعت الصوت ، سكنت نفسها لتحققه .

ـ غِواث : الغواث والغياث والغوث : المعونة ، وإجابة المستغيث .

ـ تحوضه : تجعل له حوضاً يجتمع فيه الماء .

معيناً : المعين : الماء الظاهر الجارى الذى لا يتعذّر أخذه ـ كداء : بالفتح والمد : الثنية من أعلى مكة مما يلى المقابر وبالضم والقصر : من أسفلها مما يلى باب العمرة .

ـ عائفاً : العائف : المتردد حول الماء .

ـ الجرى : الرسول والوكيل .

ـ وأنْفَسهم : صار عندهم نفيساً مرغوبًا فيه .

ـ تِركته : التركْة ـ بسكون الراء ـ ولد الإنسان .

ـ يبتغى لنا : يطلب لنا الرزق ، ويسعى فيه .

ـ آنس شيئاً : أبصر شيئاً ، وأراد كأنه رأى أثر أبيه وبركة قدومه .

أكمة : ما ارتفع من الأرض كالرّابية .

(ب) فى الرواية الثانية :

شَنَّه : القِربة البالية يكون فيها الماء .

فلم تُقِرها نفسها : أى لم تتركها نفسها مستقرة فتشاهده فى حال الموت ، فرجعت ، وهذا فى المرة الأخيرة .

ـ يَنْشغ للموت : النَّشغ : الشهيق ، حتى يكاد يبلغ له الغشى .

ـ انبثق الماء : انفتح وجرى .

الفوائد من القصة :

١ ـ الثقة فى الله

٢ ـ من كنايات الطلاق « غيِّر عتبة بابك » .

٣ ـ من حفر بئراً فى فلاة أو جعل الماء يخرج من الصحراء ملكه ولا يشاركه فيه غيره إلا برضاه .

٤ ـ لا يجوز طرح الولد بالصحراء اتكالاً على الله وأخذاً بما فعل إبراهيم فإن إبراهيم ـ عليه السلام ـ مأمور بذلك .

٥ ـ الأخذ بالأسباب .

٦ ـ إثبات الكرامة .

٧ ـ إنّ مع العسر يسراً .

٨ ـ الفرج مع الكرب .

٩ ـ الدعاء من المضيف لأصحاب الطعام كأن يقول « اللهمّ بارك لهم فى طعامهم وشرابهم ، أو أطعم الله مَن أطعمنا وسقى الله من سقانا » .

١٠ ـ جواز كلام الملائكة مع غير الأنبياء من الصالحين كما هُنا .

المعانى :

ـ أدَرَة : وقيل : أدْرَة : نفخة فى الخصية .

ـ عدا بثوبه : مضى مُسرعاً .

ـ وطفق بالحجر ضرباً : الحجر منصوب بفعل مُقدَّر أى : طُفق يضرب الحجر ضرباً .

ـ ندْباً : أثراً .

الفوائد من القصة :

١ ـ أشد الناس بلاءً الأنبياء .

٢ ـ جواز النظر إلى العودة عند الضرورة لمداواة أو إبراءة من العيوب .

٣ ـ فيه دلالة على معجزة موسى عليه السلام ، وهى مشى الحجر أمامه .

٤ ـ فيه دلالة على أن الله تعالى كمل أنبياءه ، خلقاً وخُلُقاً ونزَّههم عن المعايب والنقائص ، ولم يثبت إضافة بعض العاهات إلى بعضهم .

٥ ـ جواز الحلف على الإخبار .

٦ ـ جواز التعرى فى الخلوة للغسل وغيره ، بحيث يأمن عين الناس ، وإن كان التستر أفضل .

٧ ـ وجود التمييز بين الجماد ؛ كالحجر ونحوه .

٨ ـ وصف الأنبياء بكل كمال بشرى .

٩ ـ تحريم سوء الظن .

١٠ ـ قوة موسى ـ عليه السلام ـ لأن بالحجر أثراً من ضربه .

طواف سليمان - عليه السلام على نسائه

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأةً ، كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه : قل : إن شاء الله ، فلم يقل : إن شاء الله ، فطاف عليهن جميعاً ، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدةً ، جاءت بشق رجل . وأيْم الذي نفس محمد بيده ، لو قال : إن شاء الله ، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون »(1) .

المعاني :

- لأطوفن : طاف بالشيء إذا دار حوله مراراً وهو كناية عن الجماع .

- وأيم الذي نفس محمد بيده : أي والله الذي أنا مملوك له .

وأصل أيم : أيمن ، وهو لفظ قسم .

- وللحديث روايات : أصحها : تسعين ، وورد : ستون وسبعون وتسعون (وهو أصح) وتسع وتسعون ومائة ، والجمع بينها . أن الستين كن حرائر ، ومَا زاد عليهن كن سرارى ، أو بالعكس .

وأما السبعون فللمبالغة ، وأما التسعون والمائة فكن دون المائة وفوق التسعين ، فمن قال تسعون ألغى الكسر ، ومَن قال مائة جبره .

الفوائد من القصة :

١ - يجب على المرء الاستثناء في أيمانه . فيقول : لأفعلن كذا إن شاء الله .

٢ - في الاستثناء تفويض الأمر لرب العالمين مالكه .

---

(١) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور باب كيف كان يمين النبي ﷺ وفي (٣٤٢٤) كتاب الأنبياء باب (٤٠) ، ومسلم في الأيمان باب الاشتثناء ، والنسائي في الأيمان والنذور باب : إذا حلف فقال له رجل : إن شاء الله ، هل له استثناء ؟ وأيضاً رواه البخاري في كفارات الأيمان باب الاستثناء في الأيمان ، وفي النكاح باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائي ، وفي التوحيد باب في المشيئة والإرادة ، وأحمد (٢/ ٢٢٩ ، ١٥٠٦) ، والحميدي (٢/ ٤٩٤ - ٤٩٥) ، وأبو يعلى (١١/ ٢٣٠ - ٢٣١) ، والبيهقي في سننه (١٠ / ٤٤) ، وابن أبي الدنيا في ذم البغي (٣٣) .

٣ ـ استحباب ذكر الله على كل حالة وفى كل أمر .

٤ ـ للأنبياء قوة عظيمة ليست لغيرهم .

٥ ـ فيه تنبيه على آفة التمنى والإعراض عن التفويض .

٦ ـ فيه فضل فعل الخير وتعاطى أسبابه .

٧ ـ جواز الإخبار عن الشىء أنه سيقع .

٨ ـ جواز السهو على الأنبياء ولا يقدح فى عصمتهم .

٩ ـ استحباب استعمال الكناية للدلالة على الألفاظ المستقبحة لقوله (لأطوفن) بدلاً عن (لأجامعن) .

١٠ جواز إضمار المقسم به فى اليمين لقوله لأطوفن ولم يقل والله .

١١ ـ إتباع المشيئة اليمين يرفع حكمها .

١٢ ـ مشيئة الله فوق مشيئة البشر .

الجراد الذهبى لأيوب

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « بينما أيوب يغتسل عُرْياناً ، خرَّ عليه جراد من ذهب ، فجعل يحثى فى ثوبه ، فناداه ربه يا أيوب ! ألم أكن أغنيتك عمّا ترى ؟ قال : بلى يارب ! ولكن لا غنى بى عن بركتك »(١) .

المعانى :

خرَّ : وقع .

يحثى : يجمع .

---

(١) البخارى فى التوحيد (٧٤٩٣) باب قول الله تعالى ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ ، وفى أحاديث الأنبياء (٣٣٩١) باب قوله تعالى : ﴿ وأيوب إذ نادى ربه ﴾ وفى الغسل (٢٧٩) باب من اغتسل عُرياناً وحده فى الخلوة ، وأحمد (٢/ ٣١٤) والنسائى فى الغسل (١ / ٢٠٠ ، ٢٠١) باب الاستتار فى المسند (٢/ ٤٥٧) والحاكم (٢/ ٥٨٢) (٦١٩٧) والبغوى فى شرح السنة (٨/ ٧٠٦) (٢٠٢٧) وهو فى صحيفة همام بن منبه رقم (٤٧) .

الفوائد من القصة :

١ ـ الاستزادة من فضل الله وبركته لا يدخل فى باب الطمع .

٢ ـ جواز اغتسال المرء عُرياناً وحد ، فى الخلوة .

٣ ـ إكرام الله تعالى لأنبيائه بأشياء غير معهودة لدى الناس .

قصة المصيب ركازاً فى أرض اشتراها من آخر

عن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ « اشترى رجلٌ مِن رجل عقاراً ، فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرَّة فيها ذهبٌ فقال له الذى اشترى العقار : خذ ذهبك منى ، إنما اشتريت منك الأرض ، ولم أبتع منك الذهب ، وقال الذى له الأرض : إنما بعتك الأرض وما فيها ، فتحاكما إلى رجل فقال الذى تحاكما إليه ألكما ولد ؟ قال أحدهما : لى غلام . وقال الآخر ، لى جارية . قال : أنكحوا الغلام الجارية ، وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدَّقاً »(١) .

المعانى :

الرّكاز : ما ركزه الله تعالى فى المعادن ، أى : أحدثه .

والعقار : الأرض .

ولم أبتع : أى لم أشتر .

ألكما ولد ؟ أى الجنس ، وليس المراد ولد واحد بل أولاد .

الفوائد من القصة :

١ ـ بلغت الأمانة والورع فى الأمم السابقة مبلغاً عظيما .

٢ ـ للمرء استعمال الأمانة والورع فى أسبابهما بغير حدود .

٣ ـ فضل الإصلاح بين المتنازعين .

٤ ـ يستحب للقاضى ولغيره الصلح بين الخصوم .

---

(١) البخارى (٣٤٧٢) فى أحاديث الأنبياء ، ومسلم (١٧٢١) فى الأقضية باب استحباب إصلاح الحاكم بين المتخاصمين ، وأحمد (٢/٣١٦) ، والبغوى فى شرح السنة (٢٢١٢) ، وابن حبان (٧٢٠) وابن ماجة (٢٥١١) فى اللقطة ، باب من أصاب ركازاً) وهو فى صحيفة همام بن منبه (٧٦) .

٥ ـ المعاملة والنفقة قائمة على التراضى بين الناس وأن الأصل فيها الحِل .

٦ ـ عاقبة الصدق والأمانة وحسن المعاملة ترجع بالخير على أصحابها .

٧ ـ للرجل وزوجته أن يكون مالهما واحداً أولا يكون كذلك .

المقترض ألف دينار من صاحبه

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ : « أنه ذكر أنّ رجلاً من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يُسْلفه ألف دينار ؛ قال : أئتنى بشهداء أشهدهم ، قال : كفى بالله شهيداً ، قال : ائتنى بكفيل . قال : كفى بالله كفيلاً قال : صدقت ، فدفعها إليه إلى أجل مُسمّى ، فخرج فى البحر ، فقضي حاجته ، ثم التمس مَركباًيقدُم عليه للأجل الذي كان أجله ، فلم يجد مَرْكباً فأخذ خشبة ، فنُقَرها ، وأدخل فيها ألف دينار وصحيفة معها إلي صاحبها ، ثمّ زَجَّج موضعهما ، ثمّ أتى بها البحر ، ثمّ قال : اللهم إنك قد عَلمت أنى استلفت من فلان ألف دينار فسألنى كفيلاً ؛ قلت : كفى بالله كفيلاً ، فرضى بك ، وسألنى شهيداً : فقلت : كفى بالله شهيداً ، فرضى بك ، وإنى قد جَهَدت أن أجد مَرْكباً أبعث إليه بالذى لـه ، فلم أجد مَركباً ، وإنى استودعتكها ، فرمى فى البحر ، حتّى ولجت فيه ، ثمّ انصرف ينظر وهو فى ذلك يطلب مَرْكباً يخرج إلى بلده ، فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركباً يجيء بماله ، فإذا بالخشبة التى فيها المال ، فأخذها لأهله حطباً ، فلمّا كسَرها ، وجد المال والصحيفة ، ثمّ قَدِمَ الرجل الذى كان تسلف منه .

قصة غلام جريج

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة : عيسى بن مريم ، وصاحب جِريج ، وكان جُريج رجلاً عابدا ، فاتخذ صومعة ، فكان فيها ، فأتته أمه وهو يُصلِّى ، فقالت : يا جُريح ! فقال : يارب ! أمى وصلاتى ، فأقبل على صلاته ، فانصرفت .

فلمّا كان من الغد ، أتته وهو يُصلى ، فقالت : يا جُريج ! فقال : أى ربِّ أمى

وصلاتي ، فأقبل على صلاته ، فقالت : اللهمّ لا تُمِته حتى ينظر إلى وجوه المومِسات.

فتذاكر بنو إسرائيل جُريجاً وعبادته ، وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها ، فقالت : إن شئتم لأفتننه لكم .

قال : فتعرضت له ، فلم يلتفت إليها ، فأتت راعياً كان يأوى إلى صومعته ، فأمكنته من نفسها ، فوقع عليها ، فحمَلت ، فلمّا ولَدتْ ،؛ قالت : هو من جُريج ، فأتوه ، فاستنزلوه ، وهدموا صومعته ، وجعلوا يضربونه ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : زنيت بهذه البغى فولدت منك فقال : أين الصبى ؟ فجاءوا به ، فقال : دعونى حتى أصلِّى ، فصلّى ، فلمّا انصرف ؛ أتى الصبى فطعن فى بطنه ، وقال : يا غلام ! مَن أبوك ؟

قال : فلان الراعى .

قال : فأقبلوا على جُريج ؛ يُقبِّلونه ويتمسحون به ، وقالوا : نبنى لك صومعتك من ذهب ، قال : لا ، أعيدوها كما كانت ، ففعلوا .

وبينا صبى يَرْضع من أمُه ، فمرَّ رجلٌ راكب على دابة فارهة ، وشارة حسنة ، فقالت أمه : اللهم اجعل ابنى مثل هذا ، فترك الثدى ، وأقبل إليه فنظر إليه فقال : اللهمّ لا تجعلنى مثله ، ثمّ أقبل على ثديه ، فجعل يَرْتضع .

قال : فكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكى ارتضاعه بأصبعه السبابة فى فمه ، فجعل يمصُها .

قال : ومرّوا بجارية وهم يضربونها ويقولون ، زنيتِ . سَرقتِ وهى تقول : حسبى الله ونعم الوكيل .

فقالت أمه : اللهم لا تجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ، ونظر إليها ، فقالت : اللهم اجعلنى مثلها .

فهُناك تراجعا الحديث ، فقال : حَلْقى ؛ مرَّ رجل حسن الهيئة ، فقال : اللهم اجعل ابنى مثله فقال : اللهمّ لا تجعلنى مِثله ، ومرّوا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون : زَنَيْتِ ، سَرَقْتِ ، فقلت : اللهم لا تجعل ابنى مِثلها ، فقال : اللهم اجعلنى مثلها قال : إنّ ذلك الرجل كان جَبَّاراً ، فقلت : اللهم لا تجعلنى مثله ، وإنّ

هذه يقولون لها : زنيْتِ ولم تزنِ ، وسرقتِ ولم تسرق ، فقلت اللهمّ اجعلنى مثلها[1]

المعانى :

ـ يارب أمى وصلاتى : أى اجتمع علىَّ إجابة أمى وإتمام صلاتى ، فوفقنى لأفضلهما .

ـ الموسات وهى جمع موسة ، وهى : البغى الزانية المجاهرة .

ـ يتمثل بحسنها : أى يُضرب به المثل .

ـ فتعرَّضت له : أى عرضت نفسها عليه ليواقعها .

ـ فارهة : الفارهة : النشيطة القوية الجادة .

ـ شارة : الشارة : الهيئة واللباس .

ـ تراجعاً الحديث : أى أقبلت على ابنها الرضيع تُحدِّثه ، وإنما كانت فى البدء ، لا تراه أهلاً للكلام والمفاوضة .

ـ حَلْقى : دعاء عليه ؛ أى أصابه الله بوجع فى حلْقه .

ـ اجعلنى مثلها : فى السلامة من الآثام .

الفوائد القصة :

١ ـ المتكلمون فى المهد أكثر من واحد منهم غلام جُريج .

٢ ـ عِظم بر الوالدين .

٣ ـ قد يُجاب دعاء الأم على ولدها .

٤ ـ تقطع صلاة النافلة لإجابة الأم .

٥ ـ استحباب الصلاة عند نزول الشدائد .

٦ ـ ذم الكبر والإعجاب بالنفس .

٧ ـ المظلوم له فضل ومزيّة عند الله ـ تعالى .

٨ ـ من أكثر دعاء الله فى الرخاء فإنه يستجيب له فى البلاء .

---

(١) أخرجه البخارى (٣٤٣٦) فى أحاديث الأنبياء فى بابين ، ومسلم فى البر والصلة باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها) ، وأخرجه أحمد (٢/ ٣٩٥) ، ٣٨٥ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤) وأبو يعلى (١١/١٧٨ ـ ١٧٩) .

وأخرجه البيهقى فى الآداب ، ١٠٧٩) ، وابن أبى الدنيا فى مجابى الدعوة رقم(١) .

قصة المعذبة قِطة

عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال : « دخلت امرأة النار فى هِرَّة ربطتها ، فلم تُطعمها ، ولم تدعها تأكل من خُشاش الأرض »(١) .

المعانى :

خُشَاشَ الأرض : هوامُّها وحشراتها .

وفى رواية أُعْرِضت على النار ، فرأيت فيها امرأة من بنى إسرائيل تُعَذَّبُ فى هِرَّة لها ربطتها ، فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خُشاش الأرض » .

الفوائد من القصة :

١ ـ استحباب الإحسان إلى الحيوان والرفق به .

٢ ـ لا يجوز حبسه بدون طعام ، وأنّ ذلك يُعد من أكبر الذنوب .

٣ ـ تعذيب ذوات الأربع من الدواب والبهائم العجماوات يهلك صاحبه .

٤ ـ الظلم حرام ولو مع الحيوان . ومع الإنسان من باب أولى .

٥ ـ نفقة الحيوان على مالكه .

٦ ـ بعض الناس معذَّب بدخول النار فى زمن النبى ﷺ .

٧ ـ عدم الإعجاب بالعمل ، والخوف الدائم من الرب الأعلى .

٨ ـ تعجيل التوبة وعدم الاغترار بآيات وأحاديث الرجاء .

٩ ـ لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر مَن عصيت ، ورأت عائشة أن هذه المرأة كانت كافرة ولذلك أنكرت على أبى هريرة .

---

(١) أخرجه البخارى (٣٣١٨ فى بدء الخلق ، باب خمس من الدواب فواسق يُقتلن فى الحرم ، و(٢٣٦٥) فى المساقاه باب فضال سقى الماء و (٣٤٨٢) فى كتاب الأنبياء باب : ٥٤ ومسلم (٢٢٤٢) (٤/ ١٧٦٠) فى السلام ، باب تحريم قتل الهِرة و (٢٠٢٢) فى البر والصلة ، والبخارى فى الأدب المفرد (٣٨٥) ، والدارمى (٢) ٣٣٠ و ٣٣١ والبيهقى فى السنن (٥/ ٢١٤) و (٨ / ١٣) و (الأداب : (٥٩٥) ، وابن حبان فى صحيحه (٥٤٦) ، وعبد بن حميد فى المنتخب رقم (٨٧٦).

الفهـــرس